□عشرة أيام هزت بـــلاد الشـــام
□ نظام الأسد ... قياماً و رُكاماً
□(1964ـ2024)

نــزار نيّــوف

عشرة أيام هزت بلاد الشام
نظام الأسد ... قياماً و رُكاماً
(2024-1964)

تاريخ آخر لسوريا خلال القرنين الأخيرين مع ملحق
من مئة وثيقة رسمية سورية وأجنبية تنشر للمرة الأولى

مقدمتان استباقيتان من:
أندريه غوندر فرانك & إريك هوبسباوم

□

Nizar Nayouf

TEN DAYS THAT SHOOK THE LEVANT
THE ASSAD REGIME ... RISEN AND RUBBLED
(1964-2024)

Another history of Syria during the last two centuries, with an appendix of official Syrian and foreign documents published for the first time

Previous Prefaces By:

Andre Gunder Frank & **Eric Hobsbawm**

The manuscript of this book is registered with
the UK Intellectual Property Office on 10 March 2025
and with the Nelson Books under:
ISBN: 978-1-7399596-1-6

- Ten Days That Shook the Levant, The Assad Regime...Risen and Rubbled, (1964-2024)
- Nizar Nayouf (Author)
- First Edition : March 2025
- Language : Arabic
- Book Size: A4; Number of pages: 698
- Cover design:

ـ عشرة أيام هزّت بلاد الشام : نظام الأسد ... قياماً وركاماً ، 1964-2024
ـ نزار نيوف (مؤلف)
ـ الطبعة الأولى : مارس 2025
ـ اللغة : العربية
ـ القياس : A4؛ عدد الصفحات : 698
ـ تصميم الغلاف :

توضيح بشأن ظروف كتابة الكتاب وعنوانه
فيكتوريا العُزَيْزي

بدأ **نزار** كتابة هذا الكتاب في «مشفى كرويدون الجامعي» في لندن منذ 27 أيلول/ سبتمبر 2024، يوم اغتيال الأمين العام لـ«حزب الله»، **حسن نصر الله**، وانتهى منه مطلع آذار/ مارس 2025 رغم وضعه الصحي والقيود المشددة المفروضة على استخدامه الأجهزةَ الإلكترونية أكثر من نصف ساعة يومياً.وللأمانة، وانسجاماً مع منطق الأمور،يجب القول إنه من المستحيل على أي أحد في العالم إنجاز كتاب يقارب عدد صفحاته السبعمئة خلال خمسة أشهر،حتى لو كان كتاباً عن الطبخ،فكم بالأَولى كتاباً وثائقياً في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لبلد مثل سوريا يشمل قرنين من الزمن!؟ والحقيقة هي أنه بدأ كتابته، بالمعنى المجازي،منذ حوالي ربع قرن حين أنجز أطروحة الماجستير في الاقتصاد الرياضي الماكروي: Paul Baran’s Theory on Economic Plus Potential: An Applied Study on the Syrian Economy During the Period 1946-1963» (=نظرية **بول باران** عن الفائض الاقتصادي الاحتمالي : دراسة تطبيقية على الاقتصاد السوري خلال الفترة 1946-1963)،ثم حين بدأ إعداد مسودة مشروعه للدكتوراه في التاريخ الاقتصادي المقارن. وقد اختار يومها موضوعاً يتعلق بما أسماه «الثورة البرجوازية الفاطمية المغدورة»، الذي تعود فكرته إلى العام 1988.ففي ذلك العام، وخلال بحثه في المصادر القديمة المتعلقة بعملية تهويد الإسلام و تحول **النبي محمد** من النصرانية المكية إلى دين أخواله اليهود «بني النجار» في يثرب،من أجل إنجاز كتابه الأول «الإسلام التلمودي والإسلام الطالبي...»(نسبة إلى الحنيفي النصراني **أبي طالب**، وليس إلى ابنه **علي**،كما قد يعتقد البعض)، كان عليه أن يطّلع على «الجنيزة القاهرية The Cairo Genizah» التي اكتُشفت أواخر القرن التاسع عشر في«كَنيس أبرهام بن عزرا» في الفسطاط/القاهرة القديمة،والتي تتضمن كنزاً هائلاً(حوالي أربعمئة ألف ورقة وبردية و رَّق)من المعلومات والبيانات والإحصاءات المتعلقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والتجارية المصرية وفي حوض المتوسط والمشرق العربي وآسيا الوسطى ،منذ القرن السادس الميلادي وحتى القرن التاسع عشر،لكن – على وجه الخصوص-خلال فترة الدولة الفاطمية (909-1171م)، فضلاً عن الحياة الدينية،اليهودية والمسيحية والإسلامية، بطبيعة الحال. ويومها،كما يقول، لفتتْ انتباهه مسألة غريبة وهي أن المخطوطات تتضمن معطياتٍ تكفي للجزم بأن الدولة الفاطمية، قبل القضاء عليها من قبل «التحالف السني-الأوربي» لِما مثّلته من خطر على أوربا والمصالح التجارية لنظامها الإقطاعي الذي كان آخذاً

في التكون بالتزامن مع صعود المدن/ الدول الإيطالية (جنوة والبندقية...) عقب انهيار إمبراطورية **شارلمان** أوائل القرن التاسع الميلادي، عرفتْ كلاً من الرسملة والبلترة ونظام المانيفاتورا الصناعي وتنقيد السوق على نحو شبه شامل،بالمعنى الذي تحدث عنه **كارل ماركس** حين حدّد شروطَ الانتقال من الإقطاع إلى الرأسمالية خلال بحثه في«المختبر» البريطاني عن «تحويل الريع العقاري إلى رأسمال»بقيادة طبقة النبلاء الإنكليز،وصولاً إلى الثورة الإنكليزية في القرن السابع عشر. ولذلك،وحين قرر متابعة دراسته في التاريخ الاقتصادي المقارن،تقدّم بمشروع أطروحته/ «البروبوزال» للدكتوراه عن«ظاهرة الرسملة والبلترة في الدولة الفاطمية»إلى المفكر الاقتصادي وعالم الاجتماع الكبير **أندريه غوندر فرانك** Andre Gunder Frank الذي قبِله على الفور بترحيب كبير، ورفع تقريره العلمي بشأنه إلى جامعة أمستردام رغم تقاعده الصحي واقتصار عمله آنذاك على وظيفة أستاذ زائر في الجامعة. لكنه ما لبث أن توفي،في 25 نيسان/أبريل 2005،بسرطان الدم الذي كان يعاني منه منذ سنوات،بينما كان في جلسة نقاش مع **نزار** في منزله في لوكسمبورغ، بحضور زوجته **أليسون كانديلا** Alison Candela! وبعد ذلك نقل **نزار** مشروعه إلى المفكر الكبير وشيخ المؤرخين الماركسيين في القرن العشرين ومؤسس«علم تاريخ الثورات المقارن»، **إريك هوبسباوم**Eric Hobsbawm، في «كلية بيركبيك» بجامعة لندن. وبعد فترة قصيرة أصيب **هوبسباوم** هو أيضاً بسرطان الدم وتوفي في أكتوبر 2012! وعندها أصيب **نزار** بالاكتئاب وما يشبه«التطيّر الغيبي» لأكثر من عام،وقرر وقف مشروعه نهائياً على المستوى الأكاديمي، رغم أن **بيري أندرسون**Perry Anderson،المؤرخ البارز للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لفترة العصور الوسطى،ألح عليه بأن يتابع المشروع، وتطوع خلال مراسلاتهما بشأن أطروحات المؤرخ البلجيكي **هنري بيرين**Henri Pirenne حول «دور التجارة الدولية البعيدة عبر البحر المتوسط في نشوء المدن الأوربية الحديثة وتفكيك الإقطاع الأوربي»،لأن يكون المشرف العلمي.وهو ما كان فعله قبله أيضاً الأستاذ **جيوفاني أريغي**Giovanni Arrighi، أحد أهم متخصصي عصرنا في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للقارة الأفريقية. لكن **نزار** رفض عروضهم الكريمة،لأنه كان في حالة إحباط نفسية عميقة، ولأنه يحلم منذ المرحلة الجامعية بالدراسة تحت إشراف **فرانك** و **هوبسباوم**،رغم المكانة العلمية الكبيرة لكل من **أندرسون** و **أريغي** وانتمائهما للمدرسة الفكرية نفسها تقريباً، التي انتمى إليها الراحلان. كما أن تدهور وضعه الصحي الذي أقعده في المنزل ثم في المشفى بين حين وآخر،بسبب عقابيل سجنه الإنفرادي الطويل في سوريا(قرابة عشر سنوات معزولاً عن العالم وشبهَ مُقعد بسبب شلل جزئي ناجم عن التعذيب)،ساهم في منعه من إكمال مشروعه. وهكذا بقيت مسودات ومخطوطات المشروع و وثائقه،فضلاً عن الأبحاث التي أجراها بشأن موضوعاته المختلفة،في

الأدراج إلى جانب التقريرين العلميين اللذين رفعهما الراحلان، **فرانك** و **هوبسباوم**، عن «بروبوزال» الأطروحة، واللذين وُضِعتْ مقاطعُ منهما في مطلع هذا الكتاب. وهذا هو سبب وجود عبارة «مقدمتان استباقيتان بقلم فرانك و هوبسباوم» على غلافه .

أعاد **نزار** تحرير تلك المسودات والمخطوطات ودمْجِها خلال الأشهر الخمسة المذكورة، وأضاف إليها، مضمون كتابه «الإسلام التلمودي والإسلام الطالبي»، الذي كتب مقدمته المؤرخ العراقي الكبير **هادي العلوي**،والذي كان صودر وأحرِق في العام 1989 بطلب من وزير الأوقاف السورية **عبد المجيد طرابلسي** قبل توزيعه،باستثناء خمس نسخ منه لا تزال مصادرة ويُمنع الوصول إليها في «مركز الإيداع القانوني/مكتبة الأسد» بدمشق (إذا لم يكن جرى حرقها أو إتلافها هي الأخرى مع مجيء السلطة الوهابية الجديدة،القائمة على إرث ديني إسلامي سنّي بربري حصّل شهرتَه التاريخية بفضل حرق الكتب قبل حرق البشر، وبفضل طبْخ رؤوسهم في القدور كما فعل الصحابي المجرم **خالد بن الوليد** مع الشاعر **مالك بن نويرة** كيما يغتصب زوجته **ليلى بنت المنهال** على سنة الله ورسوله الذي كان سبقه إلى فعل ما يشبه ذلك مع اليهودية **صفية بنت حُيَي بن أخطب** بعد أن اشتهاها لجمالها الفتّان فقتل زوجَها لكي يأخذها لنفسه!).

كان دافعُه إلى دمج «البعد الديني» في التاريخ الاقتصادي، هو المساهمة – كما يقول- في إعادة إحياء «دور العامل الثقافي في التطور التاريخي» من وجهة نظر **ماركس**؛وهو العامل الذي جرت إزاحته جانباً والاستهتار به، بل ومحاولة التبرؤ منه –بدعوى نزعته«الاستشراقية» المزعومة و انتمائه لفترة **ماركس** الشاب/الهيغلي- لصالح اقتصادوية ميكانيكية مبتذلة منذ أن هيمنت الطبعة «اللينينية»من «الماركسية» على حقول العلوم الاجتماعية والتاريخية بعد العام 1917(وهو أحد محاور القسم الأول من هذا الكتاب). كما أضاف إليها بعضَ ما كتبه في «دفاتر السجن» التي تمكن من تهريبها من «سجن المزة العسكري» خلال الفترة 1993 – 2000 بفضل محاميه، الأستاذ **منير العبد الله**، الذي كان يزوره خلسة في السجن ويوفر له العديد من المراجع الأجنبية،من وراء ظهر شعبة المخابرات العسكرية، بمساعدة مدير السجن العقيد المحترم **بركات العش**،الذي دفع ثمن ذلك من حياته المهنية حين جرى تسريحه «تعسفياً»صيف العام 2000من قبل **بشار الأسد**، وكان على وشك أن يُعتقل بتهمة «التواطؤ مع سجين سياسي»،خصوصاً بعد أن غضّ نظره عن تهريب بعض أجزاء «دفاتر السجن» يوم إغلاق «سجن المزة العسكري» في 13 سبتمبر 2000 وإعادة **نزار** إلى «سجن صيدنايا». ولعل أهم تلك الدفاتر«الدفتر الأول» («الديمقراطية الطرَفية المستحيلة في عصر الإمبريالية») و«الدفتر الثاني»(«في المسألة العلوية: العلويون من علي بن أبي طالب إلى حافظ الأسد»)، اللذين سيتردد صداهما كثيراً في هذا الكتاب،فضلاً عن أصداء بقية الأجزاء الأخرى من

«الدفاتر». وقد لعب العميد **عمر شرق** (نائب رئيس فرع التحقيق/ 248/ في المخابرات العسكرية في العام 2001) دوراً كريماً ومشكوراً في ذلك حين مكّن **نزار** – من خلال «حيلة إدارية» – من إخراج الكثير من أوراقه ذات الصلة،يوم إطلاق سراحه في 6 أيار/مايو من العام المذكور،من وراء ظهر رئيسه **نصر الجرف** ورئيس شعبة المخابرات يومها، اللواء **حسن خليل**؛ ثم بعد ذلك وحتى «وفاته في ظروف غامضة»، في تأمين عدد كبير من الوثائق الرسمية التي يعتمد عليها هذا الكتاب، لاسيما قسمه الثاني.(أنا، كأردنية، لا أعرف شيئاً من هذه الأمور أو عنها،ولا أفهم فيها، لكنني مطالَبة بذكر هذه الوقائع بعد حوالي ربع قرن من التزام الصمت من قبل زوجي، صاحب العلاقة المباشر. وهذا ما لم يكن ممكناً قبل اليوم، لأن شكر الناس علناً على فعل هذا النوع من المساعدة، قد يكون سبباً في هلاكهم!).

أما الجزء أو القسم الأخير من الكتاب(«الأيام العشرة الأخيرة من قَرْن سايكس- بيكو»، وهو العنوان نفسه الذي تحمله مقدمته للكتاب ايضاً) فقد كتبه **نزار** في ضوء الوثائق والشهادات التي حصل عليها بمساعدة ضباط روس أصدقاء له(سوفييت سابقين تعود معرفته ببعضهم إلى أيام خدمته العسكرية الإلزامية في القوى الجوية والدفاع الجوي أواسط الثمانينيات، وعلى الأخص رئيس الاستخبارات العسكرية وقائد أسطول البحر الأسود و الملحق العسكري في لندن). ولعل أهم هذه الوثائق ما يتصل بدور النظام السوري في تدمير«حزب الله»عسكرياً واغتيال قادته العسكريين المركزيين والقطاعيين اعتباراً من مطلع العام 2008 (اغتيال **عماد مغنية**، تنفيذاً للصفقة التي أبرمها مع واشنطن صيف العام 2007 من أجل إزالته من لائحة الاتهام باغتيال **رفيق الحريري**)،ثم اغتيال عدد آخر منهم خلال سنوات الحرب السورية، لكن – وعلى نحو خاص- ربيع وصيف العام 2024، قبل أن يختتم ذلك بالمساعدة على اغتيال قائد الحزب المذكور،**حسن نصر الله**، بعد بضع ساعات على عودته من زيارة سرية سريعة إلى دمشق واجتماعه مع **الأسد** و **مملوك** ليلة 26/27 سبتمبر؛ وهي زيارة لا تزال أحد أكبر «الألغاز»في مسار الحرب الأخيرة التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة ولبنان،لاسيما وأن «الحزب» وجميع المحسوبين عليه من الصحفيين وصنّاع الرأي العام لا يزالون يلزمون صمت القبور بشأن هذه الزيارة وما جرى خلالها وخلال الساعات الثماني عشرة التي تلتها، ناهيكم عن الاعتراف بحصولها أصلاً!

يضاف إلى ما تقدم مجموعة الوثائق والشهادات الروسية المتعلقة بمحضر اجتماع **بشار الأسد** مع الرئيس الروسي **فلاديمير بوتين** في موسكو لمدة 55 دقيقة مساء يوم الجمعة 29 نوفمبر 2024، ومسودة «التفاهم الروسي – التركي» الموقعة بالأحرف الأولى قبل يوم واحد على ذلك(28 نوفمبر)بشأن إخراج **بشار الأسد** وحاشيته بطريقة آمنة من سوريا وتسليم السلطة إلى «الجولاني» و«جبهة النصرة» بالتنسيق المباشر أو غير المباشر مع بريطانيا و وزير

الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلية **رون ديرمر רון דרמר** ،الذي زار موسكو سراً مطلع الشهر المذكور لهذه الغاية، و وضَع الخطوط العريضة لــ«مسودة التفاهم» بالتشاور مع **بوتين**، قبل أن يتوجه – بعد يومين أو ثلاثة على ذلك- إلى واشنطن ليأخذ الموافقة النهائية على «التفاهم»من الإدارتين الأميركيتين،القادمة والذاهبة(إدارة **ترامب** المنتخبة آنذاك،و إدارة **بايدن** التي كانت خسرت الانتخابات الرئاسية). هذا بالإضافة إلى «التعهدات» التي وقّعها **الجولاني** بخط يده آنذاك بعد أن وضعها ضابط المخابرات البريطاني **جوناثان باول** في صيغة«خريطة طريق»، والتي ضمِنتها تركيا في رسالة ضمانات أرسلتها إلى إسرائيل وعدد من الدول الغربية والعربية،وهي كلها منشورة في «ملحق وثائق الكتاب». وفي هذا السياق لا يمكن إغفال الإشارة إلى العديد من الوثائق والشهادات الخطية التي زوده بها الوزير الراحل **وليد المعلم** منذ العام 2007، على هامش تعاونهما – خفيةً عن النظام وأجهزته – في منظمة الطاقة الذرية الدولية في فيينا بشأن قضية «المفاعل النووي السوري» المزعوم،الذي دمرته إسرائيل في أيلول/سبتمبر من العام المذكور؛ الأمر الذي لم يكن ممكناً الإشارة إليه بالأسماء الصريحة قبل اليوم للأسباب المعروفة والمذكورة! وهناك عشرات الوثائق الأخرى التي بدأ **ماركوس فولف** يزوده بها-اعتباراً من العام 2002 وحتى وفاته في نوفمبر 2005- لتحرير «مذكراته عن العالم العربي» التي لم تُنشر حتى اليوم(نشر **نزار** بعضها خلال تحريره وترجمته كتابَ «داخل الكريملن خلال حرب أكتوبر وما بعدها»لنائب آخِر وزير خارجية سوفييتي،**فيكتور إسرائيليان**،الصادر جزؤه الأول في العام 2021،وكذلك في مناسبات أخرى مختلفة،ولا تزال متاحة على شبكة الإنترنت بالإنكليزية والألمانية). وهكذا أصبح كتاب«نظام الأسد قياماً وركاماً» أشبه بأن يكون «تاريخاً آخر»لسوريا خلال القرنين الأخيرين،اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً؛ أي منذ انخراطها- عبر الزراعة والتجارة اللاتيفوندية،كما يسميها- في السوق الرأسمالية العالمية منذ مطلع القرن التاسع عشر،أو بالأحرى منذ أواسط القرن السابق عليه حين كانت- مع بقية بلاد الشام الأخرى- تحت الاحتلال العثماني، وحتى 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، الذي يصفه بأنه:

- اليوم الأخير من حياة «نظام سايكس – بيكو»؛
- و اليوم الذي عادت فيه سوريا إلى الحضن الأميركي – الإسرائيلي «نهائياً» بعد قرابة سبعين عاماً على خروجها منه،وإن جزئياً؛
- واليوم الذي اكتمل فيه تشكُّل «قوس التحالف الصهيوني/الإسرائيلي – السني» في العالم العربي والشرق الأوسط في صيغته شبه الكاملة،والذي لم يعد يحتاج سوى إلى إسقاط النظام الإيراني والإجهاز على بقايا أو «فلول» حلفائه في لبنان واليمن لكي يكتمل نهائياً

بعد أن كان بدأ تكوينه خلال اجتماع الأمير/ الملك **فيصل بن الحسين** و زعيم «المنظمة الصهيونية العالمية»،**خاييم وايزمان**، في«العقبة» و «لندن»، صيف وشتاء العام 1918على التوالي، ثم خلال زياراته السرية إلى دمشق لاحقاً (1932، 1936). وخلال هذه الزيارات، التي رافقه فيها قادة سياسيون وأمنيون كبار أمثال **إلياهو إبشتاين אליהו אפשטיין** (رئيس«دائرة الدول المجاورة» في الوكالة اليهودية)و **آبا شنيلر אבא שנלר(آبا خوشي)** و رئيس جهاز المخابرات في «لواء البلماح»، المقدم **يروخام كوهن ירוחם כהן** ، اجتمع **وايزمان** مع زعماء وسماسرة «الكتلة الوطنية» واتفق معهم على أن يبيعوه ما يمتلكونه من أراضٍ في الشمال الفلسطيني(«الجليل الأعلى» وسهل «مرج ابن عامر»)و«إقليم باشان الآرامي»(الجنوب السوري الممتد من ريف دمشق الجنوبي حتى نهر اليرموك)، والتعاون مع الحركة الصهيونية في تقديم المعلومات عن السوريين الذين يتطوعون للذهاب للقتال في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية وأولئك الذين يهرّبون لها السلاح من سوريا. ولعله بات معلوماً اليوم،كلياً أو جزئياً،أن «الكتلة الوطنية»كانت تضم العشرات من عملاء الحركة الصهيونية و ذراعيها التنفيذيتين«الوكالة اليهودية»و«الصندوق القومي اليهودي»، لعل أشهرهم وعلى رأسهم: **شكري القوتلي**، **فخري البارودي**،**جميل مردم بيك**،**نسيب البكري**،**لطفي الحفار**،**بدر الدين الشلاح**، **الأمير عبد الرزاق الجزائري**،**عدنان العلبي**...إلخ.وهذا الأخير هو جد (والد أمّ)العميل الإسرائيلي المعروف اليوم، **سامي مروان مبيض**،الذي ينتحل صفة مؤرخ، والذي كان أحد مندوبي اللواء **علي مملوك** وإدارة المخابرات العامة في العامين 2007 و 2008 (إلى جانب **سمير التقي** و **سمير سعيفان**) للاجتماع مع الإسرائيليين و«لجنة العلاقات الأميركية - الإسرائيلية AIPAC» في الولايات المتحدة؛

- هذا فضلاً عن أنه ، أي 8 ديسمبر 2024، اليوم الذي انتهت فيه القضية الفلسطينية وبدأت مراسم دفنها رسمياً كتحصيل حاصل لما تقدم.

***

منذ إنجاز الكتاب مطلع آذار/مارس الماضي ونحن نحاول - بمساعدة أصدقاء لنا في العالم العربي- إيجاد ناشر له،على الأقل في لبنان أو مصر أو العراق، أو حتى بلدي الأصلي/ الأردن، لأن ذلك مستحيل في سوريا (وهو ما كان رغبة **نزار** الجامحة بعد سقوط النظام). ولكن جميع دور النشر التي تواصلنا معها حتى الآن ،أنا والأصدقاء، في الدول العربية المذكورة (أكثر من تسعة دور نشر) رفضت أو اعتذرت لأسباب «دينية» و/أو «سياسية». وبعضها اشترط حذف فصول كاملة منه أو أجزاء واسعة من بعض الفصول قبل نشره؛ وهذا ما رفضه **نزار** بشكل قطعي. أما العروض الكريمة التي تلقيناها من بعض دور النشر، ومع الشكر الجزيل

والامتنان العميق لأصحابها،فلم تكن تجاربها المهنية تسمح لها بنشر كتب من هذا النوع ، إما لضعف أو انعدام خبرتها وعدم تخصصها في هذا المجال، أو لكونها دُوراً صغيرة ليس لديها قدرة مالية وتجارية وتسويقية على طباعة كتب كبيرة وتوزيعها. وغني عن البيان أن ابتعاده عن الحياة العامة وعزلته طوال أكثر من عشر سنوات بسبب وضعه الصحي،ساهم في نسيانه ونسيان دوره السياسي والإعلامي والحقوقي طوال ثلاثة عقود قبل انفجار الأزمة الوطنية السورية في العام 2011،إلى حد أن تسعة أعشار السوريين،ممن هم في العقد الثالث أو الرابع من أعمارهم،وهم أغلبية الأجيال السورية الفعّالة اليوم، لم يسمعوا باسمه، وهو الذي «كان مالىء الدنيا وشاغل الناس» حين تعرفت عليه قبل ربع قرن، يوم أجريت معه مقابلة لصالح إحدى الإذاعات العربية التي كنت أعمل معها؛ أو حتى قبل أربعة عقود حين كان يجري تحقيقاً سرياً –بمساعدة صديقته المحامية «الإسرائيلية» **فيليسيا لانغر**- حول مصير مئات الجنود السوريين «المفقودين»الذين اختفت آثارهم-مع عرب آخرين- خلال أربعة حروب، وتبين أنهم أسِروا وقتلوا في السجون الإسرائيلية بعد إخضاعهم لتجارب أسلحة بيولوجية في«المعسكر1391» السري قبل أن يبيعهم النظام ويخترع لهم قبوراً وهمية في مقابر الشهداء؛ وحين كان يكتشف المقابر الجماعية السرية السورية«جبل عويمر/عنتر» قرب تدمر،ويفتحها تحت جنح الظلام ليتبين له أن المئات منها هي لسجناء، سوريين وعرب آخرين،أخضِعوا منذ أواسط الثمانينيات وحتى العام 2004على الأقل، لتجارب أسلحة كيميائية في ثلاثة أماكن في البادية السورية؛أو حين كان يكتشف مدافن تسعة عشر ألف برميل من النفايات الكيميائية التي أدخلها أركان النظام البائد من أوربا ودفنوها في البادية السورية لقاء حفنة دولارات من الشركات الألمانية والإيطالية والبلجيكية،وهو ما أدى إلى إصابته بعلل صحية،جلدية ورئوية، لا علاج لها،كما تبيّن لأطباء المشافي البريطانية مؤخراً بعد سنوات طويلة من بقاء مرضه هذا بمثابة «لغز» غير مفهوم السبب!

في هكذا أحوال وظروف ،من الأفضل أن يبقى الكتاب حبيسَ مخطوطته على أن يأكله العث في المستودعات! ونظراً لأنه ليس بإمكاننا نشره على حسابنا الخاص بسبب وضعنا المادي بالغ السوء(فأنا اضطُررت لترك عملي مع الأمم المتحدة منذ خمس سنوات للتفرغ للعناية به بعد أن أصبح مُقعداً ومن ذوي الاحتياجات الخاصة،الأمر الذي تسبب بفقداننا كل مدخراتنا)،ولأن «في الدنيا حياةً وموتاً»كما يقال،فقد أودعنا نسخة من المخطوط في المؤسسة الحكومية البريطانية المخوّلة قانونياً بحفظ حقوق الملكية الفكرية The Intellectual Property Office -IPO،ولدى الفرع البريطاني من«مؤسسة نيلسن بوك Nielsen Book»،التي منحته الرقم(6-1- 7399596 -1 - 978) بتاريخ 14 مارس 2025، باعتبارها الوكيلة القانونية

البريطانية للترقيم الدولي،بانتظار أن يتوفر له ناشر مناسب أو يصبح بإمكاننا نشره على نفقتنا الخاصة.

أخيراً،أغتنم هذه الفرصة لشكر العديد من الأصدقاء والمعارف على الجهد الذي بذلوه في تنضيد وطباعة مسودة الكتاب ونقلها من الأوراق التي كتب عليها، ومعالجتها فنياً، وهو ما لم يكن ممكناً أن يقوم به صاحبه بسبب عجزه الصحي، ولا أنا بطبيعة الحال، بسبب افتقاري إلى الخبرة الكافية في هذا المجال. ولا بد لي هنا من أخص بالذكر الصحفية **يوليا فيربتسكايا** Юлия Вербицкая ،الأستاذة الجامعية في كلية الصحافة واللغات السلافية بـ«جامعة فيرنادسكي» الفيدرالية Университет Вернадского الروسية في «شبه جزيرة القرم»، التي ساعدت في تأمين التواصل المستمر مع الأدميرال **إيغور كاساتانوف**،القائد السابق لأسطول البحر الأسود وضباط آخرين من العهد السوفييتي،طوال سنوات الأزمة السورية وحتى الدقائق الأخيرة من عمر «نظام الأسد»؛وكذلك إلى السيدة **كلوديا ڤال**(ربيبة **ماركوس فولف**/ابنته بالتنبي)و والدتها السيدة **أندريا شتنغل**،أرملة **فولف**،اللتين ساعدتا في ترجمة الكثير من الوثائق الألمانية إلى الإنكليزية. ولا بد أن يذهب الشكر أيضاً إلى السيدة الجليلة أستاذة الموسيقى **مارلين شوارتز-هوبسباوم**، أرملة الراحل الكبير **إيريك هوبسباوم**، التي لولاها لما كان بالإمكان إتمام عدد من الفصول التي فقدنا الكثير من أوراقها بسبب ظروف تنقلنا المستمر وعدم استقرارنا. فهي لم تدخر جهداً،رغم سنها المتقدمة التي شارفت على التسعين، في البحث عن مسودات تلك الفصول في إرشيف زوجها الراحل، منذ أن كان أستاذاً مشرفاً في «كلية بيركبيك». أما الآخرون الذين كان لا بد من شكرهم أيضاً على ما قدموه له من مساعدة نبيلة مختلفة الأشكال في فترات مختلفة،سواء من خلال الوثائق التي وفروها أو الشهادات الشخصية التي أدلوا بها والتصويبات التي اقترحوها بحكم مواقعهم الوظيفية، فعسى أن يلحظوا أسماءهم في القائمة السردية الخاصة بذلك، التي تلي صفحة الإهداء.

أدناه الصفحات الأولى من الكتاب (حوالي ستين صفحة)، بما في ذلك فهرس موضوعاته، والمقدمة التوضيحية التي تبين لماذا اختار المؤلف 8 ديسمبر1964 كبداية فعلية لنشوء «نظام الأسد»، وليس العام 1970كما هو متعارف عليه تقليدياً ورسمياً. وهذا فقط ما أنا مخولة بنشره في الوقت الحالي.

❋ فيكتوريا/ انتصار العُزَيْزي

لندن، 2 نيسان / أبريل 2025

فهرس المحتويات

القسم الأول
في الأسس النظرية والتاريخية للثورة الوطنية الديمقراطية

القسم الثاني
التاريخ الاقتصادي لبلاد الشام في ظل الاحتلالين العثماني والفرنسي وشروط انخراطها في السوق العالمية اعتبارا من القرن الثامن عشر

القسم الثالث
استحالة الحكم واستحالة المشروع الوطني :
من المشروع الأهلي الخاص إلى الدولة

الإهـداء

إلى توأمَيْ الروح ، **عبد العزيز الخيّر** و **خليل معتوق** ...
حَيَّيْن في سجنٍ أو حَيَّيْن .. في قبرٍ أصبحنا نتشاركه الآن جميعاً، بعد أن قتلهما «بشار الأسد» لكي يأكل «الجولاني» جثتيهما؛

وإلى ذكرى **أندريه غوندر فرانك** و **إريك هوبساوم**،اللذين ماتا بين يديّ، أو على مرمى رؤيةٍ منهما، بعد أن أعطياني القلم وعلّماني ما لم أعلم؛

وإلى ذكرى المحامي **منير العبد الله** الذي لولاه لما كان مُقيَّضاً للكثير من فصول هذا الكتاب أن يرى النور؛

وإلى ذكرى **عادل محمود**،«الخياط» الوحيد الذي عرف مقاساتنا الدقيقة فخاط لـ«جثثنا الفاخرة قمصاناً زرقاء»بلون«القنيطرة التي لم يعد يسكنها أحد سوى المحافظ ودجاجاته»، فملّت أحجارُها من الانتظار والاهتراء والتشقق تحت مطارق نظراتنا المشفقة...
مع أسفي واعتذاري «إلى الأبد و ...يوم» لأني لم أتمكن من تلبية رغبتك في أن أكتب هذا الكتاب قبل ثلاث سنوات حين كنتَ لم تزل بيننا،و وعدي بأن أصطحب لك نسخة منه حين قد نلتقي قريباً؛

وإلى ذكرى **عصام أبو عجيب**، الذي هُتِك سِتْرُ العاصمة وأصيبت بالعمى بعد أن ألقوه في البئر ومزقوا قيمصَه وتقاسموه بينهم لكي لا تمسحَ به وجهَها فتستردَ بصرها؛

وإلى ذكرى المقدم المهندس **جورج فاضل متى**،الذي أعارني اسمه،حياً وميتاً،دِرْعاً وتعويذة ضد... الموت على قيد الحياة...،عسى أن تَستشفَّ روحُه في صفحات هذا الكتاب بعضَ وفاءٍ بَخُلَ به وطنُه على عبقريته المغدورة؛

وإلى العقيد **بركات العش**، آخر مدير لسجن المزة العسكري قبل إغلاقه في 13 سبتمبر 2000،بعد أن دفع ثمناً باهظاً من حياته المهنية والشخصية، وكان قاب قوسين أو أدنى من أن يصبح جاري في زنزانتي الإنفرادية؛ لا لشيء إلا لأنه أبى أن يبصق في كأس المعلم «الياس مرقص»، الذي شرب منه في «ثانوية جول جمال»، وأرغمتني سلامتُه على الصمت طوال ربع قرن...، عسى أن يرى في هذه الكلمات بعضاً من امتنان،ولو متأخر ربع قرن،على ما أراقه من ماء وجهه القُحَاح بسببي يوم كنتُ في «ضيافته»، وعلى مغامراته طوال سبع سنوات في إدخال الكتب والأوراق والألوان إلى زنزانتي الانفرادية، فلولاه لما كان قُيِّض للكثير من صفحات «دفاتر السجن» أن تُكتب، ولا للعديد من اللوحات أن تُرسم ؛

وإلى ذكرى العميد **عمر شرق**، نائب رئيس «فرع التحقيق العسكري» الذي بقي – طوال أربعين يوماً– يذرّ التراب في أعينهم وينقل لي الطعام والشراب في زنزانتي الانفرادية، خلسةً، كي لا آكل من طعامهم «المفخخ»...
لطالما كنتُ أتوق إلى أن ألتقيه منذ إطلاق سراحي، لكنه رحل دون أن يتمكن من تلبية أمنيتي الأخيرة وهو الذي أدين له بحياتي وبالكثير من وثائق هذا الكتاب؛

وإلى ذكرى المقدم المغدور **علي فاضل**، ضابط المخابرات العسكرية المتهور،الذي لولا جنونُه العاقل لأفلتَ الكثيرُ من أطراف الخيوط من بين يدَي، ولما كان ممكناً الوصول إلى الكثير من أعشاش العناكب التي تقيأتْها في حياتنا وعليها؛

وإلى الكثير من الضباط الأصدقاء،السوفييت والروس،الأحياء منهم والأموات، المذكورين بأسمائهم الصريحة في متون هذا الكتاب وأولئك الذين فضّلوا مجرّد التلويح بأسمائهم؛عسى أن يجدوا في تذكّرهم بعضَ وفاءٍ لــ «الخبز والملح والبيلميني» الذي تقاسمناه يوماً ما في مدينة «ديك الجن الحمصي» وأنفاق «جبل المانع» و«تل الحارة» وأماكن أخرى لم ينظروا إليها– بالمعنى الأممي النبيل،وبخلاف ما فعلته مافيات **بوتين** الكولونيالية لاحقاً – إلا كما لو أنها جزء من وطنهم،فتبرع الكثير منهم بحياته دفاعاً عنها في مواجهة عصابات الأخوان المسلمين و وجهها الآخر – عصابات الجيش التلمودي.

لكن،وكما العادة،قبل هؤلاء وبعدهم،وفي كل وقت وطوال الحياة،إلى **انتصار/فيكتوريا العُزيزي**،بِكُلِّ خلاياها المنحدرة من جدها«عبد العزى الغساني»،وبأسمائها الحسنى كلها، رغم أنها «الأردني الوحيد الذي لم يزر سوريا»،كما أحبّت دوماً التعريف بنفسها،و«الأردني الوحيد الذي لم يعد بإمكانه أن يزورها بعد 8 ديسمبر 2024»، كما أحبّ أن أضيف إلى تعريفها!

وإلى ذِكرايَ أنا الذي دفع نصف قرن من عمره في الزنازين الحقيقية والافتراضية، وبين مباضع الأطباء أو متجرعاً سمومَهم الترياقية، بحثاً عن وطن أو قبر يمكن أن تستلقي فيه جَرّة رمادي بأمان دون تخشى مجيءَ مُحمّديٍّ تلموديّ مهووس بنبش المقابر...على سنة الله ورسوله؛ قبل أن أكتشف أني كنت مُغفّلاً كمن قضى حياته وهو يحاول حَلْب التيس،وأنه حيث يعيش الله وملائكتُه وكتبُه ورسلُه يكون يومُ الناس «الآخِر والأخير» وهم على قيد الحياة!

ن. نيوف

لندن، مشفى كرويدون الجامعي، 10 مارس 2025

شكر وامتنان

يتقدم المؤلف بالشكر الجزيل والامتنان العميق إلى العديد من الشخصيات السورية والعربية والأجنبية التي حصل منها على المساعدة في مراحل مختلفة،قبل انفجار الأزمة الوطنية بسنوات طويلة،وخلالها، وبعد سقوط النظام، سواء من خلال تمكينه من الوصول إلى وثائق رسمية لم تُرفع عنها السرية،أو من خلال المعلومات الخاصة التي كان من الصعب معرفتها أو تدقيقها دون مساعدة بعضهم الآخر بحكم علاقاتهم الوظيفية المباشرة بالقضايا ذات الصلة،سابقاً أو عند تحرير هذا الكتاب. وغنِيّ عن البيان أن هناك من ارتؤوا عدم الإشارة إلى أسمائهم،إما لأنهم لا يزالون على رأس أعمالهم، أو لأسباب قانونية و/أو أمنية ليس من الصعب التكهن بها.وأخص هنا بالتلميح - سوى من ستتم الإشارة إليهم بأسمائهم الصريحة،سواء في القائمة أدناه أو في متن الكتاب- أصدقاءً ومعارفَ من«حزب الله» وأوساطه النيابية والثقافية والإعلامية،ورفاقاً من الجبهتين «الشعبية» و «الديمقراطية» لتحرير فلسطين، وضباطاً من «قيادة القوى الجوية والدفاع الجوي»في الجيش السوري المنحلّ،و وزارة الخارجية الفرنسية و«حزب العمال البريطاني»وأعضاءً «البرلمان البريطاني» وموظفين في «منظمة الأمم المتحدة لحظر الأسلحة الكيميائية OPCW ...إلخ.

وفيما يلي قائمة بأسماء من يمكن الإشارة إليهم،أمواتاً نتمنى لهم الذكرى العطرة،وأحياءً نرجو لهم العمر المديد،مرتبةً وفق التسلسل الأبجدي لأسمائهم الثانية باللغة العربية،مع الصفات الوظيفية التي كانوا أو لا يزالون يشغلونها.

شخصيات سورية:

- **أبو عجيب،عصام غالب**(العميد/ بطل الجمهورية):قائد«اللواء77»في الدفاع الجوي، المسؤول عن حماية دمشق، ورئيس أركان الفرقة 24 (الفرقة الجنوبية) في قوات الدفاع الجوي حتى اعتقاله في العام 1989.
- **الشرع، فاروق**: نائب الرئيس السوري (2006-2014) و وزير الخارجية قبل ذلك.
- **شرق،عمر**(العميد):نائب رئيس «الفرع248»(فرع التحقيق) في شعبة المخابرات العسكرية في العام 2001.
- **فاضل،علي**(المقدم):مدير مكتب اللواء«علي يونس»(نائب رئيس شعبة المخابرات العسكرية)، حتى اعتقاله في سبتمبر 2004من قبل«الحرس الجمهوري»وتصفيته طبياً في«مشفى تشرين العسكري»في إطار صفقة فرنسية–سورية تضمنت إطلاق سراح صحفيين فرنسيين(«جورج مالبرونو» و «كريستيان شينو»)كانا مُختطَفين في العراق من قبل ميليشيات تدعمها المخابرات السورية، مقابل«تسليم المخابرات الفرنسية لنظيرتها السورية معلومات عن استعداد ضابط

مخابرات للانشقاق والهرب مع كمية كبيرة من الوثائق الرسمية» والالتحاق بمؤلف هذا الكتاب، الذي كان لا يزال يقيم كلاجىء سياسي في فرنسا.

ـ **المعلم، وليد** : وزير الخارجية السورية خلال الفترة 2006 –2020، وسفيرها لدى واشنطن قبل ذلك (خلال الفترة 1990–2000).

شخصيات عربية

ـ **تلحمي، داود** (وائل زيدان): عضو المكتب السياسي في «الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين»، ورئيس تحرير مجلتها المركزية «الحرية» حين كانت تصدر في دمشق ونيقوسيا وإلى حين عودته إلى فلسطين/ رام الله.

ـ **حواتمة،نايف**:مؤسس مشارك في «حركة القوميين العرب»ثم الأمين العام لــ«الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين» منذ العام 1969.

ـ **خالد ، ليلى :** عضو المكتب السياسي في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين».

ـ **سركيس، فريد سركيس** (المحامي ورجل الأعمال): عضو مؤسس وقيادي في «حركة الاشتراكيين العرب» حتى وفاته في المنفى في العام 2013.

ـ **العلي، صلاح عمر** : عضو «مجلس قيادة الثورة» العراقي خلال الفترة 1968 – 1970، و وزير للإعلام ثم سفير لدى الأمم المتحدة حتى «انشقاقه» ربيع العام 1982.

ـ **محمد ، زكريا** (داود محمود شقير): شاعر وروائي فلسطيني تميز بأبحاثه في الميثيولوجيا واللهجات/اللغات العربية الميتة. عمل طويلاً في الإعلام الفلسطيني، وبشكل خاص نائباً لرئيس تحرير«الموقف الديمقراطي»حين كانت تصدر في دمشق،ثم مجلة«الكرمل»بعد عودته إلى فلسطين المحتلة في العام 1994.

ـ **اليماني ،أحمد حسين** (أبو ماهر اليماني): قيادي مؤسس في «حركة القوميين العرب» و «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين».

ـ **اليماني،ماهر حسين :** قيادي في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» (مجموعة العمل الخارجي بقيادة وديع حداد).

شخصيات سوفييتية و روسية

ـ**إسرائيليان ، فيكتور ليفونوفيتش**В. Л. Исраэля́н(البروفيسور): نائب آخر وزير خارجية سوفييتي لشؤون مفاوضات نزع السلاح، وأستاذ العلاقات الدولية في جامعة «بنسلفانيا» في الولايات المتحدة حتى وفاته في سبتمبر 2005.

ـ **إيفاشوف، ليونيد غريغوريفيتش** Л. Г.Ивашов(الجنرال):نائب وزير الدفاع لشؤون التعاون الدولي حتى العام 2001 ، ثم رئيس «أكاديمية المشكلات الجيوبولتيكية».

ـ **شلياختوروف،ألكسندر فاسيلفيتش** A. B. Шляхтуров (الفريق): مدير إدارة المخابرات العسكرية ونائب رئيس أركان الجيش الروسي حتى استقالته في 20 ديسمبر 2011 احتجاجاً على تواطؤ «الكريملن» مع النظام السوري البائد في اعتقال «فاروق الشرع» خلال توجهه إلى موسكو في اليوم السابق.

ـ **غروموف، بوريس فسيفولودوفيتش** Б. В. Громов (الجنرال): قائد القوات السوفييتية في أفغانستان حتى انسحابها مطلع العام1989،وعضو مجلس«الدوما/البرلمان» فيما بعد(1996-2000).

ـ **كاساتانوف، إيغور**И. В. Касатонов (الأدميرال): قائد أسطول البحر الأسود السوفييتي خلال الفترة 1991-1992،ونائب قائد القوى البحرية الروسية حتى تقاعده في العام 1999 .

ـ **كليموك، ميخائيل بيوتر** M. П.Климук (الكولونيل الجوي):الملحق العسكري الجوي الروسي في لندن سابقاً (2011- 2015)، وفي هولندا لاحقاً حتى إبعاده بتهمة «التجسس».

ـ **كورنيينكو،أوليغ فيكتوروفيتش** O. B. Корниенко :ملحق الدفاع/ الملحق العسكري الروسي في دمشق عند سقوط النظام .

ـ **ياكوفينكو، ألكسندر فلاديميروفيتش** A. B. Яковéнко : سفير روسيا الاتحادية في لندن خلال الفترة 2011 -2019، ورئيس البعثة الروسية لدى «اليونيسكو» في باريس قبل ذلك.

شخصيات ألمانية (من ألمانيا الديمقراطية السابقة وألمانيا بعد الوحدة)

ـ **بروزينسكي، فيرنر** Werner Prosetzky (اللواء):رئيس الدائرة الثالثة (دائرة «حركات التحرر الوطني والعالم الثالث») في مخابرات ألمانيا الشرقية السابقة HVAخلال الفترة 1971-1990 .

ـ **بيرنت ، كلاوس** Klaus Berndt(المقدم):الملحق العسكري لجمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة في سوريا خلال الففترة 1985-1987.

ـ **غاست، غابرييله** Gabriele Gast (الدكتورة) : رئيسة قسم تحليل المعلومات الخاصة بالاتحاد السوفييتي وأوربا الشرقية في المخابرات الخارجية الألمانية منذ العام 1973 وحتى اعتقالها في العام 1990 بعد اكتشاف أمرها كعميلة لمخابرات ألمانيا الشرقية السابقة منذ العام 1968.

ـ **فولف ، ماركوس** Markus Wolf (الفريق): مؤسس ورئيس المخابرات الخارجية في ألمانيا الديمقراطية 1952-1986 و مستشارها الخاص حتى إعادة توحيد ألمانيا، ونائب وزير أمن الدولة قبل ذلك. مؤسس مشارك لـ «حركة لاهوت التحرير» في أميركا الجنوبية إلى جانب نظيره السوفييتي ألكسندر ساخاروفسكي.

ـ **فينتر، هاينز-ديتر** Heinz-Dieter Winter (الدكتور): سفير ألمانيا الديمقرطية في سوريا والأردن خلال الفترة 1977-1981، ونائب مديرة إدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية حتى إعادة توحيد ألمانيا.

ـ **كونشيل، فولفغانغ** Wolfgang Konschel (الدكتور) : سفير جمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة في دمشق (وفي الأردن أيضاً) خلال الفترة 1972 – 1977، ومدير إدارة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية حتى العام 1983 حين عين سفيراً في طهران.

ـ **مولاك، غونتر** Gunter Mulack (الدكتور/ المستشرق) : سفير جمهورية ألمانيا الاتحادية في دمشق خلال الفترة 1999–2002، و مدير معهد الاستشراق الألماني خلال الفترة 2008–2023 .

ـ **يينيكه، هورست** Horst Jänicke (الفريق):رئيس الدائرة الثالثة (دائرة حركات التحرر الوطني والعالم الثالث) في مخابرات ألمانيا الشرقية السابقة ، والنائب الأول لرئيسها حتى إعادة توحيد ألمانيا.

شخصيات بريطانية:

ـ **بليك ، جورج** George Blake(الديبلوماسي وضابط المخابرات): قنصل سابق في كوريا الجنوبية، وأسير لدى كوريا الشمالية خلال الحرب الكورية، و شيوعي سري بعد ذلك وحتى وفاته في العام 2020، ومساعد مدير «معهد شملان» في لبنان لتدريب الجواسيس حتى انكشاف أمره واعتقاله ربيع العام 1961. حكم عليه بالسجن 42 عاماً قبل أن يهربه «ماركوس فولف» من سجنه وسط لندن إلى «برلين الشرقية» ثم موسكو في العام 1966 .

ـ **شلايم، آفي /أبرام** Avi Shlaim (البروفيسور): مؤرخ بريطاني(«إسرائيلي» سابق) من أصول عراقية، أستاذ العلاقات الدولية في جامعتي «أكسفورد» و «كيمبريدج».

ـ **لون ، بيتر نورثكوت**Peter Northcote Lunn (الجنرال المتقاعد): رئيس محطة المخابرات البريطانية MI6 في بيروت خلال الفترة 1962 – 1967، وفي فيينا وعواصم أخرى قبل وبعد ذلك .

ـ **ميتلاند، دونالد جيمس** Donald James Maitland (السير): ضابط مخابرات وديبلوماسي ومستعرب بريطاني، عمل رئيساً لمحطة المخابرات البريطانية في بورما والهند خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها. خلال الفترة 1956–1960 عمل رئيساً لـ «معهد شملان» المذكور آنفاً. جرى انتدابه عشية «العدوان الثلاثي» على مصر خريف العام 1956 من أجل الإشراف على محطة الإذاعة التي أنشأتها المخابرات البريطانية لجماعة«الأخوان المسلمين» المصرية في قاعدة «أكروتيري» الجوية في قبرص بهدف حثّ المصريين على مؤازرة العدوان «الذي جاء لتحريرهم من النظام الناصري الكافر الذي يقوده البكباشي الملحد عبد الناصر»!

ـ **هوبسباوم، إريك** Eric Hobsbawm (البروفيسور): مؤرخ «علم الثورات المقارن»و أستاذ التاريخ في «كلية بيركبيك» في جامعة لندن خلال الفترة 1947– 2012 .

شخصيات فرنسية

ـ **أوجيه ، جان-كريستوف** Jean-Christophe Augé (مستعرب وديبلوماسي): رئيس «مكتب سوريا ولبنان»في وزارة الخارجية الفرنسية،عضو «خلية الأزمة السورية Task Force»التي

شكلتها الخارجية الفرنسية في العام 2012 لتقديم الاستشارات لقصر«الإليزيه» وإدارة التدخل الفرنسي السري في سوريا، وكان يعمل سابقاً في السفارة الفرنسية بدمشق حتى إغلاقها في مارس 2012 .

ـ **داراغون، شارل – هنري** Charles-Henri d'Aragon: سفير فرنسا في سوريا خلال الفترة 1997-2002.

ـ **دو لاغراندميزون،ألكسندر لا كور**Alexandre la Cour de la Grandmaison (ديبلوماسي ، والأرجح ضابط في المخابرات الخارجية ؟)رئيس «خلية الأزمة السورية» التي شكلتها الخارجية الفرنسية في العام 2011.

ـ **دو مولر ، بينيديكت** Bénédicte de Montlaur (ديبلوماسية ومستعربة):رئيسة مكتب سوريا ولبنان في وزارة الخارجية الفرنسية (2002-2005)،ورئيسة المكتب الصحفي في السفارة الفرنسية بدمشق بعد ذلك(2005-2008) و المستشارة السياسية لبعثة فرنسا لدى الأمم المتحدة في نيويورك (2008-2012) .

شخصيات إيرانية

ـ **أبراهاميان، يرواند** Ervand Abrahamian (البروفيسور) : مؤرخ أميركي – إيراني ، وأستاذ تاريخ اليسار الإيراني في جامعات نيويورك، برينستون و كولومبيا الأميركية، وعضو سابق في قيادة الحزب الشيوعي الإيراني في الخارج.

ـ **آبشناس، عماد** (البروفيسور) : أستاذ العلوم السياسية في جامعة طهران، ورئيس تحرير صحيفة «إيران ديبلوماتيك».

ـ **خليلي،لالِه**(توليب)Laleh Khalili (البروفيسور):أستاذة الدراسات الخليجية في جامعة إكستر البريطانية، وقيادية سابقة في منظمة «فدائيين خلق». ولدت أوائل السبعينيات في بيروت لأبوين إيرانيين من كوادر «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين».

ـ **قمري – تبريزي ، بهروز** Behrooz Ghamari-Tabrizi (البروفيسور): أستاذ التاريخ الإيراني المعاصر في جامعة «برينستون» الأميركية، وقيادي سابق في منظمة «فدائيين خلق».

شخصيات «إسرائيلية» حالية وسابقة

ـ **ساند، شلومو** שלמה סנד (المؤرخ): الرئيس الأسبق لقسم التاريخ في جامعة تل أبيب بفلسطين المحتلة،ومؤلف ثلاثية«اختراع الشعب اليهودي»،«اختراع أرض إسرائيل»، «كيف لم أعد يهودياً».

ـ **لانغر ، فيليسيا** פליציה לנגר (المحامية) : أستاذة القانون الجنائي في جامعة «بريمن» الألمانية حتى وفاتها في العام 2018،وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي حتى تخليها عن جنسيتها الإسرائيلية ومغادرتها فلسطين المحتلة«هرباً»إلى ألمانيا الغربية(آنذاك، في العام 1990) بسبب وشاية من «الفرع251» في المخابرات العامة السورية على خلفية تعاونها مع المؤلف في

قضية الأسرى السوريين المفقودين الذين قتلوا في «المعسكر 1391» السري بعد تعريضهم لاختبارات أسلحة بيولوجية من قبل«معهد نيس زيونا» للأبحاث البيولوجية) למחקר ביולוגי.

ـ **هِس، أميرة** (أميرة هاس) עמירה הס (الصحفية):محررة الشؤون الفلسطينية في صحيفة «ها آرتس»، ومؤلفة عدد من الكتب عن القضية الفلسطينية أشهرها «شُرب البحر في غزة: أيام وليالٍ في أرض تحت الحصار». وهي ابنة«حنة ليفي- هاس»، الكاتبة الناجية في العام 1945 من معسكر الاعتقال النازي في«بلسن – بيرغنBergen-Belsen»على خلفية عضويتها في قيادة «حركة المقاومة الشيوعية اليوغسلافية ضد الاحتلال النازي/ رابطة الشيوعيين اليوغسلاف»، قبل هجرتها إلى فلسطين المحتلة ومساهمتها مع زوجها في تأسيس «الحزب الشيوعي الإسرائيلي».

□
□

إطار تاريخي توضيحي لعنوان الغلاف :

(**سوريا بين تاريخين بريطانيين** : 8 **ديسمبر** 1964ـ 8 **ديسمبر** 2024)

قبل ستين عاماً:

دمشق، الثلاثاء 8 كانون الأول/ ديسمبر 1964

قُبيل ظهيرة ذلك اليوم،وبعد ساعات طويلة من المعاناة على الطريق الذي غطته الثلوج المتراكمة، وصل صحفي بريطاني إلى دمشق،قادماً من بيروت،في مهمة ظاهرُها - أو «غِلافُها» كما يقال بلغة أجهزة المخابرات - إعدادُ تقريرٍ لصحيفته عن الصراع المستجد بين أجنحة «البعث»الذي لم يكن مرّ على انقلابه العسكري سوى أقل من عامين.وكان هذا الصراع،نِصْفُ المعلَن،والذي استغرق بضعة أشهر على خلفية تمرد«الأخوان المسلمين»وحلفائهم السلفيين في مدينة حماة ربيع العام 1964 بدعم من أجهزة مخابرات **عبد الناصر** في مصر وحليفه **عبد السلام عارف** في العراق،أسفر في نهاية ذلك العام عن ترقية **حافظ الأسد**،استثنائياً وخروجاً على لوائح الأنظمة العسكرية المتبعة،من رتبة مقدم إلى رتبة لواء،وتعيينه قائداً للقوى الجوية بعد مرور أقل من عامين على قيادته «قاعدةَ الضُّمَيْر الجوية» الشهيرة،التي كان يشغلها منذ إعادته إلى الخدمة العسكرية في العام السابق بعد تسريحه من الجيش وإحالته إلى سلك الخدمة المدنية في مديرية النقل البحري خلال«عهد الانفصال».

«رغم أني أكبر منك عُمْراً بحوالي خمسة أشهر،يشرّفني ويسعدني أن أخاطبك: مرحباً يا خال، جَرْياً على تقليد العربيّ حين يخاطب أحدَ أبناء العائلة أو القبيلة التي تنحدر منها أمُّه»[1]! قال الصحفي مازحاً و هو يخاطب **الأسد** بلغة عربية مفهومة ،لكنها مشبعة بخليط من اللّكْنات الشامية واللبنانية والمصرية، قبْل أن يكمل تحيَّتَه مهنئاً مضيفَه برتبته ومنصبه الجديدَيْن،بينما كان هذا الأخير لا يزال منهمكاً في ترتيب أوراقه ومتعلقاته الشخصية على سطح مكتبه الجديد في مقر «آمرية القوى الجوية» القديم في «شارع بغداد/حي الأزبكية»[2].

كان هذا اللقاء هو الأول بين الرجلين اللذين سيصبحان صديقين بعد ذلك، وستمتد صداقتُهما العميقة حتى وفاة الأول في 10 يونيو من العام 2000.أما الصحفي القادم من بيروت فلم يكن سوى مراسل صحفية الــ«أوبزيرفر» ومجلة الــ«إيكونوميست»في العاصمة اللبنانية،**باتريك سيل**،المولود لأبيه المتحوّل من اليهودية إلى البروتستانتية، **أبرام/أبراهام سيل**،ولأمه الممرضة اليهودية الإيطالية، تونسية الأصل،**رين عتّال**،التي كانت جذورُها العربية دافعَه لممازحة **الأسد** ومناداته بــ «الخال»!

يومها كان **سيل** أصبح مديراً لمكتب صحيفة«الأوبزيرفر»في بيروت،خلفاً لمديره ورئيسه **كيم فيلبي**، الذي انشق وفرّ إلى موسكو مطلع العام السابق، حاملاً معه أرشيف العشرات من جواسيس «معهد شملان» في لبنان والشرق الأوسط،بمن فيهم **باتريك سيل** نفسه،قبل أن يكتشف العالم بعد بضعة أشهر أن «الصحفي المنشق» ، **فيلبي**، ليس سوى أحد أخطر وأذكى عملاء المخابرات الخارجية السوفييتية PGU(أو المديرية الأولى في KGB)،والرجل الذي كان رئيسُ حكومة بلاده،**هارولد ماكميلان**،على وشك أن يعيّنه مديراً للمخابرات البريطانية الداخلية MI5 لولا أن صديقَه و زميله **باتريك سيل** عثر،بمحض«المصادفة المقصودة»،على دليل حاسم يدينه بـ«الخيانة الوطنية لبريطانيا العظمى وحكومتَيْ جلالة الملك **جورج السادس** ،و وريثته جلالة الملكة **إليزابيث الثانية**،طوال ما يقارب ثلاثين عاماً»!وكانت المخابرات الخارجية البريطانية MI6، وشريكتُها وكالة المخابرات المركزية الأميركيةCIA،التي كان **فيلبي** ضابطَ الارتباط والتنسيق الرسمي بينهما في واشنطن خلال الفترة 1949-1951،تبحثان معاً عن هذا الدليل منذ أكثر من عشرة أعوام لإثبات شكوكهما التي تقول إن **فيلبي** هو العضو الثالث المجهول،حتى ذلك الحين(1961)،في الشبكة التي ستُعرف لاحقاً باسْم «حلقة كيمبريدج الخماسية Cambridge Five Ring»،فأسرع **سيل** إلى إرسال الدليل إلى رئيسه في لندن، **نيكولاس إيليوت** Nicholas Elliott، الذي كان مسؤولاً عن التحقيق في قضية الشبكة التي بقيت تهزّ بريطانيا طوال العقود الثلاثة اللاحقة.أما **إيليوت** نفسه فلم يكن سوى رئيس محطة الوكالة في بيروت قبل نحو عامين من تلك الواقعة!ومن نافل القول هنا إن **سيل** رفض الإجابة على سؤالي الوقح،وربما الأحمق، بشأن دوره الخاص في الإيقاع بصديقه وزميله في مهنة الصحافة والمخابرات،**كيم فيلبي**،حين سألتُه عن الأمر في العام 2003؛ وهو ما كان تجنّب التطرق إليه،بطبيعة الحال،حين كتب سيرة **فيلبي** قبل ذلك بثلاثين عاماً بالاشتراك مع زميلته **مورين ماكونفيل**[3].

كان **باتريك سيل** يتعمق يومها، إلى جانب عمله الصحفي والاستخباري، في دراسة اللغة العربية في «معهد شملان» بجبل لبنان،رغم أنه كان يجيد هذه اللغة بشكل مقبول ويعرف دمشق منذ أن قضى فيها الأربعة عشر عاماً الأولى من حياته(1930-1944)مع والدته ووالده المستعرب البريطاني من أصل روسي يهودي سابقاً،وعالم اللاهوت الذي ترأّس بعثة التبشير بالمذهب البروتستانتي في سوريا خلال تلك الفترة. أما «معهد شملان»نفسُه،أو«مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية MECAS»، حسب تسميته الرسمية، فلم يكن سوى واجهة للمخابرات البريطانية،وظيفتُه الفعلية غير المعلنة تعليم اللغة العربية لعملائها من المستعربين والعاملين في السلك الديبلوماسي والوسط الصحفي والثقافي الاستشراقي. وكان أنشِىء أصلاً في القدس المحتلة خلال الحرب العالمية الثانية لتعليم اللغة العربية لضباط جيش الاحتلال البريطاني تحت إشراف **آبا إيبان**،الذي سيصبح وزير خارجية إسرائيل لاحقاً،قبل أن يُنقلَ إلى مدينة «الزرقاء» الأردنية لبضعة أشهر، ثم نهائياً إلى قرية «شملان»في جبل لبنان على أثر حرب فلسطين في العام 1948،حيث بقي هناك إلى حين إغلاقه نهائياً في العام

1978 بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية.أما **باتريك سيل** فكان بدأ عمله مع MI6 خلال خدمته ضابطاً صغيراً،أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات،في وحدة المخابرات العسكرية التابعة للجيش البريطاني قرب قناة السويس، حين كان هذا الجيش لا يزال يحتل مصر عملياً،وبشكل خاص منطقة القناة. وهناك تسرّب بعضُ اللكنة المصرية إلى عربيته قبل أن يتلاشى مع الزمن.

على خلاف ما يمكن افتراضُه في هكذا أحوال، لم تكن زيارة **سيل** إلى **الأسد** بتكليف من رئيس تحرير صحيفته في لندن، **دافيد آستور** David Astor ، بل من رئيس محطة MI6 في بيروت آنذاك، **بيتر آرنولد لون** Peter Arnold Lunn،بناءً على ملف تعريفيّ أعده **عبد الحليم خدام** في أبريل من العام 1963 لصالح محطة MI6 في دمشق عن أهم الضباط البعثيين والناصريين الذين قادوا «انقلاب 8 آذار» في الشهر الفائت،كما سيُخبرني **بيتر لون** نفسُه في العام 2004،مؤكداً صحة ما جاء في وثائق **فيلبي** التي حصلتُ عليها تباعاً من **ماركوس فولف** في برلين خلال الأعوام السابقة. وفي ذلك الملف التعريفي،الذي لا يفتقر إلى الأمانة أو حتى إلى شيء من الكِهانة ،وصفَ **خدام** صديقَه القديمَ **حافظ الأسد**،النقيبَ المُعادَ إلى الخدمة العسكرية حديثاً، بأنه :

> «عَلماني ينحدر من الطائفة العلوية،لكنه محافظ ومنضبط في سلوكه الاجتماعي، ومن أكثر الضباط الانقلابيين احتراماً لبريطانيا وجيشها بسبب دعمهما للثورة السورية الكبرى ضد فرنسا بقيادة **سلطان الأطرش** في العام 1925،وبسبب الدور الحاسم الذي لعبه الجيش البريطاني في حصول سوريا على استقلالها في العام 1946(...).وهو قومي عربي يحتفظ – كما زعيم حزب البعث **ميشيل عفلق** ومعظم رفاقه الآخرين– بكراهية شديدة للشيوعية والشيوعيين،بخلاف الرجل الأقوى بينهم، **صلاح جديد**،الطهراني كما حواريّي المسيح، وذي الميول الماركسية الماوية المطعّمة بعلمانية فرانكوفونية متطرفة من شبه المستحيل أن تنبت بذورها في بلادنا(...). ولهذا يعتقد [**الأسد**] أن سوريا المستقبلية لا يمكن أن تكون إلا جزءاً من التحالف الغربي– العربي- الإسلامي المناهض للاتحاد السوفييتي والشيوعية،بسبب ثقافتها الإسلامية العريقة(...).وهو متزوج من إحدى أكبر العائلات الإقطاعية العلوية التي تُعتبر حاضنةً للحزب السوري القومي الاجتماعي في الساحل السوري،وزوجتُه ابنةُ وجيه هذه العائلة،**أحمد مخلوف**،الذي يُنظر إليه على نطاق واسع باعتباره أحدَ وجوه هذا الحزب في الطائفة العلوية. ولهذا يمكن التعويل عليه[أي : **الأسد**] لبناء جسور ثقة بين النظام الانقلابي الجديد في سوريا و البلدان الغربية، لاسيما بريطانيا العظمى و رئيس حكومتها المستر **هارولد ماكميلان**،رغم ميل **الأسد** سياسياً وأيديولوجياً إلى أفكار حزب العمال المعارض وزعيمه **هارولد ويلسون**، بسبب التشابه بين أفكارهما وأفكار حزب البعث...إلخ».

كانت محطة المخابرات البريطانية في دمشق،تحت قيادة اليهودي-الصهيوني **وليام مونْتِغو بولوك** William Montagu-Pollock،الذي حمل يومها صفة«مبعوث فوق العادة»كقناع ديبلوماسي، جنّدت **خدّام** في العام 1952حين كان يعمل - بعد تخرجه في كلية الحقوق بجامعة دمشق – محاسباً مالياً في مكتب شركة نفط العراق البريطانية IPCفي طرطوس قبل أن يُطرد من عمله بسبب اختلاسه رواتب الموظفين والعمال،نصف الشهرية وفق نظام دفع الأجور البريطاني آنذاك،وادعائه بأن الحقيبة التي كان ينقل بها الأموال تعرضت لعملية سطو في محطة انطلاق الحافلات العمومية في طرطوس(4). وفي تلك الفترة كان لا يزال عضواً في «الحزب القومي السوري»، وهي فترة مجهولة كلياً من حياته،إلى جانب زميلته في الدراسة الثانوية **أنيسة أحمد مخلوف**.أما الحزب المذكور فكان آنذاك - لاسيما بعد أن أصبح تحت قيادة **أسد الأشقر**- وثيقَ الصلة بالمخابرات البريطانية و«حلف بغداد» ومشاريعهما المشتركة في المنطقة مع النظامين الملكيين الهاشميين في العراق والأردن ونظام الرئيس **كميل شمعون** في لبنان.وقد جرت عملية تجنيد **خدام** من خلال العميل البريطاني وعضو الحزب القومي،النقيب **صلاح الشيشكلي**، شقيق الرئيس **أديب الشيشكلي** ورئيس فرع«المكتب الثاني» (المخابرات العسكرية)في منطقة الساحل السوري (اللاذقية وطرطوس، اللتين كانتا يومها محافظة واحدة). وبفضل انتمائه للحزب نفسه وخدمته في تلك المنطقة، كان أمراً طبيعياً أن يصبح النقيب **الشيشكلي** صديقاً مقرباً من **أحمد مخلوف**،والد زوجة **الأسد**، التي ستصبح «السيدة الأولى»في سوريا بعد ذلك بسبع سنوات وعلى مدى ثلاثة عقود،و والدة وريث العرش الجمهوري **بشار الأسد** حتى وفاتها في العام 2016.

***

بعد أقل من خمسة أشهر على لقاء **سيل – الأسد** في المبنى القديم لــ«قيادة القوى الجوية»،وبذريعةٍ «طبية» اقترحَها **عبد الحليم خدام** نفسُه و السفيرُ البريطاني في دمشق آنذاك **تريفور إليس إيفانز** Trefor Ellis Evans، سيقوم **الأسد** مطلع مايو 1965 بزيارته السرية الأولى إلى لندن،مصطحباً معه صديقَه وخليفتَه على رأس «قاعدة الضُّمَيْر الجوية»،المقدم **ناجي جميل**،قبل أن ينضم إليهما قائد الشرطة العسكرية **حسين ملحم**، والملحق العسكري السوري آنذاك في لندن،الرائد الجوي **علي عيسى دوبا**،الذي أقدم **صلاح جديد** على نقله إلى السفارة السورية في بلغاريا مطلع العام1966 بعد أن اكتشف اشتراكَه في تنسيق اتصالات **الأسد** وفريقه مع البريطانيين وحضوره بعضَ اجتماعاتهم في لندن. أما **ناجي جميل** فكان سبق الجميع تقريباً،قبل أكثر من عشر سنوات على ذلك،إلى بناء علاقاته الخيطية الخاصة مع المخابرات الجوية البريطانية RAF Intelligence خلال فترة دراسته في القسم التقني / الهندسي التابع لــ«الأكاديمية الجوية الملكية البريطانية RAFC» في العام 1954. وهذا ما كان معروفاً جيداً من قبل **الأسد** منذ أن أصبح **ناجي جميل**،بعد عودته من بعثته الدراسية في بريطانيا،وباعتباره تقنياً متخصصاً في الطائرات البريطانية،وليس طياراً،مسؤولاً عن الجاهزية

التقنية لسرب الطائرات«ميتيور Meteor NF.13»،بريطانية الصنع، الذي كُلِّف الملازم الأول **حافظ الأسد** بقيادته في «مطار المزة العسكري» اعتباراً من صيف العام 1956.

ولتأكيد الطابع «الطبي»للزيارة،وإبعاد أية شبهة سياسية عنها إذا ما جرى نبْشُ الأراشيف في المستقبل،عمد **الأسد** إلى اصطحاب طبيبه الخاص معه،الدكتور **يوسف/جوزيف الصايغ**، ابن بلدة «مشتى الحلو» في ريف طرطوس،الذي سيجري اغتيالُه بعد 15 عاماً على ذلك(مطلع العام 1980)في عملية مشبوهة نُسبت إلى جماعة الأخوان المسلمين الإرهابية، رغم أنه كان أصبح أستاذاً في كلية الطب بجامعة دمشق والطبيبَ الخاص لموظفي السفارة الأميركية بدمشق؛أي سفارة الدولة التي كانت تدعم«الجماعة»،من خلال تركيا والعراق والأردن،والتي زوّدَتْها في نوفمبر 1981بقاذف صاروخي فردي(محمول على الكتف)، من النوع الذي كانت تقدمه لــ«مجاهدي أفغانستان»، من أجل إسقاط طائرة **الأسد** بعد إقلاعها من مطار دمشق حين كان في طريقه لحضور القمة العربية الثانية عشرة في المغرب!

لكن،وعلى النقيض من ذلك،سيتبين لاحقاً من خلال ملفات الزيارة المذكورة،أن الرواية المتعلقة بسببها«الطبي» لا أساس لها من الصحة،وكانت مجرد غلاف لسلسة من الأحداث اللاحقة. فقد تمكن البارون **فيكتور روتشيلد الثالث** Victor Rothschild III وزملاؤه من تسريب محاضر تفصيلية دقيقة لاجتماعات **الأسد** ورفاقه مع المسؤولين العسكريين والأمنيين والسياسيين البريطانيين إلى مدير المخابرات الخارجية HVA في«ألمانيا الشرقية»، **ماركوس فولف**Markus Wolf،الذي كان يخترق أجهزة ومؤسسات دول «الحلف الأطلسي»كلها، طولاً وعرضاً، منذ خمسينيات القرن الماضي. وحين أرسل هذه المعلومات إلى نظيره السوفييتي،**ألكسندر ساخاروفسكي**،تسبب الأمر بخلافات عميقة داخل«الكريملن»بين التيار «الوطني-الأممي»الذي يقوده رئيس لجنة أمن الدولة KGB، «اليهودي»الأصل، **يوري أندروبوف**،والتيار التغريبي الصهيوني بقيادة **ليونيد برجينيف**،الذي كان يُضْمِر كراهية عمياء لترويكا **الأتاسي - جديد - زعيّن** وأمثالهم من «العالمثالثيين» في كل مكان، ويحرّض الإسرائيليين ــ من خلال سفيره في القدس المحتلة **دميتري تشوفاخين**- على «تأديبهم»، ويعمل على إطفاء«بؤر التوتر التي يتسبب بها هذا النوع من المجانين»مع الولايات المتحدة في جميع أرجاء العالم، تطبيقاً منه لسياسة«الانفراج Détente».ذلك قبل ست سنوات من تعهده خطياً للرئيس **نيكسون** بــ«إرسال المظليين السوفييت لمشاركة زملائهم المظليين في الحلف الأطلسي للدفاع عن إسرائيل في حال تعرضها لخطر وجودي من قبل العرب»،كما سيكتب في إحدى برقياته للرئيس **نيكسون** خلال «حرب أكتوبر 1973»؛وهي العبارة التي سيقوم رئيس لجنة أمن الدولة،**يوري أندروبوف**، بمسحها من البرقية قبل إرسالها، نظراً «لما فيها من تذلل وإهانة ذاتية وتعبير عن شعور بالدونية الشخصية والوطنية» كما قال!

أظهرت المحاضر التي نقلها البارون **فيكتور روتشيلد** إلى «برلين الشرقية»وموسكو أن **الأسد** لم يكن يشكو من أية أوجاع أو مشاكل صحية،ولم يدخل«مشفى الملكة ألكسندرا العسكري» في لندن على الإطلاق،كما كان مخطَّطاً،وأن الوجع الوحيد الذي كان يشكو منه هو«من النوع الديبلوماسي»، كما سيصفه صديقُه القديم **باتريك سيل** – رغم تلاعبه بالمعلومات المتعلقة بتلك الزيارة وإسقاطه جميعَ التفاصيل الحساسة ذات الصلة بلقاءاته في لندن، باستثناء سطر ونصف فقط!–حين سيَكتب سيرتَه السياسية بعد حوالي عقدين من الزمن(«الأسد والصراع على الشرق الأوسط»). فقد كان تحرير هذه «السيرة» عملاً صحفياً مدفوع الأجر تقاضى مقابله مبلغ 90 ألف دولار من النظام،كما أخبرني في العام 2002 في مكتب محاميّ وصديقي الفرنسي **وليم بوردون** William Bourdon،حين اعتذر عن تلبية طلب هذا الأخير أن يكون شاهداً لصالحي أمام «الغرفة 17» في محكمة باريس خلال المواجهة القضائية بيني وبين **رفعت الأسد** على خلفية كشفي تفاصيلَ «مجزرة سجن تدمر» (برنامج «بلا حدود»، قناة «الجزيرة»، 15 أغسطس2001). وقد تحققتُ أنا شخصياً من تلفيقات **سيل** وتلاعبه بالمعلومات حين جئت إلى بريطانيا لاحقاً وبدأتُ رحلة بحثي الطويلة في أراشيفها الرسمية ومقابلة من كان لا يزال على قيد الحياة من شخصياتها الرسمية العامة التي اضطلعتْ بأدوار ديبلوماسية و/أو أمنية في دمشق وبيروت خلال عقد الستينيات.أما الزيارتان السرّيتان الأخريان اللتان قام بهما **الأسد** إلى لندن فيما بعد،مطلع العام1966وخريف العام 1968 خلال التحضير لانقلابه البريطاني- السعودي - الأردني خريف العام 1970، فقد بقيتا مجهولتين كلياً، حتى من قبل خصومه«اليعاقبة اليساريين»في«القيادة القطرية» آنذاك،أمثال **نور الدين الأتاسي** و **يوسف زعيّن** و**صلاح جديد**،إلى حين اطّلاعي على الوثائق المتعلقة بهما بفضل الصديق الراحل **ماركوس فولف**،حين اتفقتُ معه في العام 2002 على كتابة«مذكراته العربية»عن الفترة 1952-1992. والمفجع في الأمر أن هؤلاء «اليعاقبة»، خصوم **الأسد**،كانوا يخفون عن الناس،وحتى عن بقية رفاقهم في «القيادةالقطرية»،باستثناء العميل الإسرائيلي المزمن **مصطفى طلاس** الذي كان يعلم ذلك من صديقته الموسادية«ريتا النمساوية Rita von Österreich»،الراقصة في «ملهى الكروان» بدمشق آنذاك،حقيقةَ أن رفيقهم الآخر،الرائد **سليم حاطوم**، قائد قوات«المغاوير»والشريك الفعّال في«انقلاب آذار 1963»،كان لديه ضابط شقيق(يدعى **أنيس**)في المخابرات العسكرية الإسرائيلية (أمان)منذ انشقاقه عن«الفوج الدرزي» بقيادة المجاهد **شكيب وهّاب** في«جيش الإنقاذ» خلال حرب فلسطين في العام 1948 والتحاقه يومها بقوات «الهاغاناه» الصهيونية قبل أن يتخلى عن عقيدته الإسلامية الدرزية ويتحول إلى اليهودية الأرثوذوكسية،متخذاً اسماً آخر هو **آريس** ארייס،كما سيظهر معنا في وثائق تُنشر ويَسمع بها السوريون للمرة الأولى في تاريخهم من خلال رسالة مجهولة كتبها زعيم ألمانيا الديمقراطية **فالتر أولبرخت** Walter Ulbricht إلى الرئيس **نور الدين الأتاسي** في العام 1966 وحصلتُ عليها من **فولف** في العام 2004!! وقد لعب هذا الشقيق المجهول،**أنيس حاطوم**،

بتوجيهات من صديقه رئيس جهاز «الموساد» الإسرائيلي،الجنرال **مئير عميت** מאיר עמית، وتواطؤ المخابرات الأردنية والبريطانية(من خلال شركة نفط العراق البريطانية IPC التي تولّت مهمة التمويل)،دوراً محورياً في المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قام بها شقيقه الرائد **سليم** في سبتمبر من العام المذكور قبل هربه إلى الأردن. وهذا أيضاً مما سيعلم به السوريون للمرة الأولى أيضاً من خلال فصول هذا الكتاب،رغم أني أشرت إليه بشكل عابر في هوامش كتاب «داخل الكريملن خلال حرب أكتوبر»(الجزء الثاني)،حين كنت أقوم بترجمته وتحريره بالاشتراك مع مؤلفه **فيكتور إسرائيليان**، نائب آخر وزير خارجية في العهد السوفييتي.

وأما سبب بقاء زيارتَيْ **الأسد** الأُخريَيْن إلى لندن مجهولتين تماماً للعموم،فهو أن الوثائق المتصلة بهما،فضلاً عن الوثائق الأساسية المتعلقة بمحاضر لقاءاته خلال الزيارة الأولى،كانت -على الأرجح- من ضمن حوالي مليون ونصف المليون وثيقة من وثائق وسجلاتMI6 وMI5 و«وزارة الخارجية» و«الأرشيف الوطني»البريطاني التي أُخفِيتْ و/أو أتلِفتْ بطرق احتيالية مشبوهة خلال العقود اللاحقة من قبل موظفين بريطانيين رسميين في الدوائر المذكورة،كما كشفت صحيفة «الغارديان»في أربعة تحقيقات وتقارير مثيرة نشرتْها تباعاً على مدى سبعة عشر عاماً(23 يونيو 2000؛ 18 و29 أكتوبر 2013؛ 26 ديسمبر 2017). وكان اختفاء هذه الكمية المهولة من الوثائق سبباً في انفجار فضيحة أمنية-مافيوزية لا تزال هزاتها الارتدادية تعود إلى سطح الحياة السياسية البريطانية من حين إلى آخر. ولولا أن البارون **فيكتور روتشيلد الثالث**، وزملاءه السابقين في ما تبقى من خلايا سرية تابعة لشبكة«حلقة كيمبريدج»، تمكنوا خلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي من تسريب محاضر لقاءات **الأسد** في لندن إلى مشغليهم في «برلين الشرقية» وموسكو،لكان من المرجح أن يبقى أمْرُ تلك الزيارات ومحاضرها،والدور الذي لعبته بريطانيا والسعودية والأردن في انقلاب **الأسد**، أسراراً مكتومة ومجهولة إلى الأبد.

***

بعد ستين عاماً:

دمشق، الإثنين 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024

مساء ذلك اليوم،بعد خروج **بشار الأسد** وكبار أركان نظامه بحماية روسية-تركية كما نصّ عليه التفاهم الخطي بين الأطراف الثلاثة، وبينما كانت «جبهة النصرة» الإرهابية بدأت تحتل مؤسسات الدولة في دمشق،تنفيذاً للتفاهم الذي شاركت الحكومات البريطانية والأميركية والإسرائيلية في صياغة بعض مضامينه،كان الإرهابي الدولي والعميل البريطاني-الإسرائيلي **أبو محمد الجولاني**،المعروف اليوم باسم **أحمد الشرع**،والذي ينتحل صفة«رئيس الجمهوريةالعربية السورية»،يتلقى من وراء البحار اتصالين هاتفيين متشابهين في مضمونهما لتهنئته بـ«النصر على عملاء إيران»ولشكره على

«مساهمته الرائعة التي لن تنساها حكومة جلالة الملك **تشارلز الثالث** في تغيير خريطة الشرق الأوسط لصالح قوى السلام والحرية»! وشاءت مفارقات و«مصادفات» التاريخ العجيبة أن يكون المتصلان كلاهما ابنين لجنرالين كبيرين كانا التقيا **حافظ الأسد** وجهاً لوجه وشاركا في ترتيب بعض لقاءاته العسكرية والأمنية خلال زياراته السرية الثلاث إلى لندن نهاية الستينيات،لاسيما منها الزيارة الثالثة أواخر نوفمبر 1968!

كان اتصال التهنئة الأول الذي تلقاه **الجولاني** من صحفي ومُغامِر بريطاني ذائع الصيت في بلاده والغرب،ومجهول كلياً حتى الأمس القريب في سوريا،يدعى **روري ستيوارت** Rory Stewart.وليس هذا الاسم في واقع الحال سوى اسم الشهرة الذي عُرف به الإعلامي والأكاديمي اليهودي-الصهيوني **رودريك برايان ستيوارت** Roderick Brian Stewart،النائب البرلماني عن«حزب المحافظين»والوزير في ثلاث حكومات محافِظة متتالية،والمرشح لخلافة **تيريزا ماي** على رأس الحزب المذكور- وبالتالي رئاسة الحكومة– في يوليو 2019،والمعلّم الصيفي الخاص للأميرين و**ليام** و **هاري** في أوقات سابقة، و رجل المهمات الخاصة لدى المخابرات البريطانية MI6 منذ العام 1991على الأقل، ورئيس «لجنة الدفاع المختارة»في البرلمان اعتباراً من العام 2014،رغم أنه لم يكن تجاوز الخمسين من عمره إلا قليلاً عند كتابة هذه الأسطر!أما والده فليس سوى الجنرال **برايان ستيوارت** Brian Stewart، ضابط فرقة«بلاك ووتش Black Watch» الأسكتلندية الخاصة في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها،قبل أن يصبح رئيساً لمحطات MI6 في العديد من العواصم والمدن الآسيوية، لاسيما هانوي. وفي هذه الأخيرة تلطّى خلف قناعه الديبلوماسي و زوّد الأميركيين على مدى عامين بمعلومات بالغة الأهمية ساعدتهم على تنفيذ غاراتهم الكيميائية الوحشية بـــ«العامل البرتقالي Agent Orange» على الأرياف والغابات الفيتنامية بحكم خبرته الإجرامية حين كان ضابطاً في مستعمرة «الملايو»في العام1957.وفي نوفمبر من العام 1968،حين عاد من شرق آسيا وأصبح سكرتير«لجنة الاستخبارات المشتركةJoint Intelligence Committee-JIC»في حكومتَيْ **هارولد ويلسون** و **إدوارد هيث**،التقى **حافظ الأسد** وجهاً لوجه للمرة الأولى وأشرف على بعض ترتيبات زيارته السرية الثالثة إلى لندن أواخر الشهر المذكور،قبل أن يصبح في العام 1974 نائبَ مدير MI6 ،**موريس أولدفيلد** Maurice Oldfield، للشؤون التقنية،والمرشح الأقوى لخلافته عند تقاعده في العام 1978.

رغم رداءة الاتصال الهاتفي،ورغم معرفة **الجولاني** المتواضعة بالإنكليزية،وصعوبة فهْم لُكْنتها الاسكتلندية بالنسبة له، لم يكن صوتُ **روري ستيوارت** غريباً عنه؛فقد أَلِفَتْ أذنُه هذا الصوت منذ أن التقيا مطلع شهر أبريل 2003 وجهاً لوجه للمرة الأولى،وبمحض المصادفة،على تخوم مدينة «الحلّة»العراقية، قبل أن تتجدد لقاءاتُهما لاحقاً - بمساعدة قوات الاحتلال الإسرائيلية واستخباراتها العسكرية –في «بيت جن» و«بيت سابر» في الجزء المحرر من الجولان،ثم في إدلب بعد خروج «جبهة النصرة»من ريف دمشق الجنوبي وريف القنيطرة أواخر العام 2017. فيوم التقيا في 2 أبريل

2003،كانت مدينة «الحلّة» سقطت للتو في قبضة قوات الاحتلال الأميركية-البريطانية المشتركة بعد الهزيمة السريعة التي لحقت بقوات «الحرس الجمهوري» وميليشيا «فدائيي صدام»المدافعة عنها، والتي أسفرت أيضاً عن مقتل واعتقال بضع عشرات من السوريين الذين جاؤوا -برعاية وتسهيل لوجستي من أجهزة المخابرات السورية ومفتي دمشق،الشيخ **عبد الفتاح البزم**،ومفتي حلب،الشيخ **أحمد بدر حسون**- للقتال«دفاعاً عن العراق في وجه الاحتلال الأميركي»،وفق رواية النظام البائد غير المعلنة،و«دفاعاً عن حارس البوابة الشرقية للوطن العربي،**صدّام حسين**،في وجه التحالف المجوسي-الصليبي»،وفق الرواية التي ستتبناها لاحقاً تلك المجموعات الإرهابية المتوحشة التي خرجت من أكمام **عزة الدوري** و **أحمد الخلايلة** (**أبو مصعب الزرقاوي**)،زعيم تنظيم «القاعدة» في العراق. (راجع ملحق الوثائق في هذا الكتاب، حيث سيرد اسم **الجولاني** في إحدى قوائم المتطوعين في الحرس الجمهوري السوري للتدرب على السلاح قبل إرسالهم من قبل المخابرات العسكرية للقتال في العراق).

في ذلك اليوم،2أبريل2003،كان **رودريك ستيوارت**(أو **روري** فيما بعد)ضابطَ وحدة المخابرات الملحقة بكتيبة «بلاك ووتش»نفسها التي سبق أن قادها والده في الماضي البعيد،والتي كانت جزءاً من رأس حربة القوات المتعددة الجنسية التي بدأت عملية غزو العراق واحتلاله اعتباراً من 19 مارس. وحين سقطت «الحلّة» في 2 أبريل كان **الجولاني**،الذي لم يكن تجاوز العشرين من عمره إلا ببضعة أشهر،واحداً من أولئك السوريين المعتقلين الذين ذهبوا من ريف دمشق ودير الزور والرقة وحلب للقتال في العراق. غير أن اعتقالَهم والتحقيق معهم من قبل قوات الغزو لم يتجاوز بضع ساعات،قبل أن يجري إطلاقُ سراحِهم،إما لصغر أعمارهم،أو لكونهم مدنيين أصلاً. أما مَن أمر بإطلاق سراحهم فلم يكن سوى **روري ستيوارت** نفسِه،الذي كانت قوات«التحالف»نصّبته للتو نائباً لمنسق قوات الاحتلال في الجنوب العراقي، **بول بريمر**،رغم أنه لم يكن تجاوز الثلاثين من عمره إلا قليلاً!

***

اتصال التهنئة الثاني الذي تلقاه **الجولاني** مساء 8 ديسمبر 2024 كان من قبل «المغامر» الآخر **جوناثان باول** Jonathan Powell،الذي لم يكن مضى سوى أقل من أسبوع على تعيينه مستشاراً للأمن القومي في حكومة **كير ستارمر** بعد سنوات طويلة من المغامرات الاستخبارية الخارجية، المعلوم منها والذي لا يزال في معظمه حبيسَ الأدراج والأراشيف السرية.

لا تقلُّ سيرة **جوناثان باول** إثارةً عن سيرة زميله **روري ستيوارت** ، خصوصاً على مستوى المفارقات و«المصادفات»العجيبة المتعلقة بالشؤون السورية-البريطانية. فهو ابن الماريشال **جون فريدريك باول** John Frederick Powell ،نائب قائد سلاح الجو البريطاني لشؤون التدريب والتعليم الأكاديمي الجوي أواخر الستينيات،وأحد الضباط الذين استقبلوا **الأسد** خلال زيارته السرية الثالثة

إلى لندن واجتماعه مع مدير المخابرات **جون أوغيلفي ريني** John Ogilvy Rennie و قائد سلاح الجو الماريشال **صاموئيل شارلز إلوورثي** Samuel Ch. Elworthy حين بدأت بريطانيا(بالتعاون مع مدير المخابرات السعودية **كمال أدهم** والملك الأردني **حسين**،وبالتواطؤ مع السفير السوفييتي في دمشق،**نور الدين محيي الدينوف**،ورئيس البعثة الاستشارية العسكرية السوفييتية،الفريق **سلطان محميدوف**) ترتيبَ عملية إطاحة نظام«اليعاقبة»الوطني،الذي كانت تقوده ترويكا **الأتاسي-جديد-زعيّن**؛وهي العملية التي ستُعرف لاحقاً في التاريخ السوري الرسمي باسم«الحركة التصحيحية»في 13 نوفمبر1970!

بدأ **جوناثان باول** حياته الدبلوماسية والأمنية الرسمية في وقت مبكر من عمره.وكما معظم أبناء الإرستقراطية و«الإستابلشمنت»في بريطانيا،عُهِد إليه القيامُ بمهمات أمنية وسياسية ودبلوماسية تتعلق بقضايا استراتيجية بالغة الحساسية قبل أن يكمل عقده الثالث.ففي العام 1983، حين كان لم يزل في السابعة والعشرين،تولى إدارة المفاوضات مع الصين لتحديد مستقبل مستعمرة «هونغ كونغ»البريطانية السابقة.وفي العام1989(أي في الثالثة والثلاثين من عمره)ترأس وفدَ بلاده إلى مفاوضات«2+4»(ألمانياالشرقية،ألمانيا الغربية،الاتحادالسوفييتي،فرنسا،بريطانيا،الولايات المتحدة) لإعادة توحيد ألمانيا وإخراج القوات السوفييتية من جزئها الشرقي.وبعد ذلك بسنوات قليلة،في العام 1997،أصبح كبير موظفي «10 دوانينغ ستريت»في عهد صديقه رئيس الحكومة **طوني بلير**،حيث بقي حتى العام 2007.وطوال هذه السنوات العشر كان-وفق تعبير صحيفة **الغارديان**-«اليدَ اليمنى لطوني بلير والعقلَ المدبّر لجميع مبادراته السياسية الخارجية والداخلية» ،بما في ذلك – مما لم تقله «الغادريان»بالطبع -تجريد حزب العمّال من هويته التاريخية كحزب «يساري» وتجذير التيار الصهيوني داخل صفوفه، عمودياً وأفقياً. وفي فيلم وثائقي بثتهBBC في العام 2006، اعترف **باول** بأنه كان-تحت إدارة جهاز المخابرات البريطانية،وعلى طريقة عمل الموساد الإسرائيلي في لبنان- صاحبَ فكرة«الصخرة الصناعية المزيفة المحشوة بأجهزة التنصت»التي جرى زرْعُها في قلب موسكو وعلى مقربة من«الكريملن»لإدارة شبكة جواسيس المخابرات البريطانية المنتشرة في العاصمة الروسية وفي محيط **فلاديمير بوتين** وحاشيته!

لم يشأ **باول** البقاء في «10 دوانينغ ستريت» بعد خروج صديقه **طوني بلير** من الحكومة في العام 2007،فانتقل للعمل في الفرع البريطاني من «بنك مورغان»حيث كانت تعمل **أسماء الأخرس** حتى تاريخ زواجها من **بشار الأسد** أواخر العام 2000بترتيب ورعاية **كولن مكول** Colin H. McColl، مدير المخابرات البريطانية(1989-1994)وخليفته خلال الفترة 1999-2004،**ريتشارد ديرلوف** R. Dearloveاللذين لعبا دورَ«الخطّابةMarriage Broker»،المعروف في التقاليد الاجتماعية العربية[5]! وخلال وجوده في البنك اكتشف **باول** للمرة الأولى،ربما بإيحاء من **ديرلوف** بالذات،أو زميله **مكول**،

قصة **أسماء الأخرس** مع جهاز المخابرات البريطانية الداخلية MI5 منذ مطلع التسعينيات. فآنذاك جاءت بها السيدة **إليسا مانينغهام-بولر** Elisa Manningham-Buller،رئيسةُ قسم العمليات التقنية والتجسس المضاد في هذا الجهاز من أجل العمل لدى البنك المذكور، على أن تكون مهمتها جمع المعلومات المتعلقة بالاستثمارات الآسيوية،لاسيما الصينية منها،في مجال التكنولوجيا الحيوية والصناعات الدوائية والأبحاث الجامعية ذات الصلة.ومنذ ذلك الحين بدأ **جوناثان باول** تواصله مع معها،متخذاً لنفسه الاسم المستعار Speculator(=المُضارِب في البورصة)،كما أبلغتني محررة للشؤون المالية والاقتصادية في إحدى الصحف البريطانية العريقة. وهذا ما يؤكده تقرير خاص من جملة تقارير شبه دورية كان يرفعها رئيس شعبة المخابرات العسكرية السورية،العماد **علي دوبا**، إلى **حافظ الأسد** بعد أن طلب منه هذا الأخير وضْعَها مع ابنه **بشار** تحت«الرقابة الإيجابية» حين بدأ تدريبه الطبي في مشفى«ويسترن آي» في لندن في العام 1992 (راجع ملحق الوثائق)! وفي مرحلة لاحقة (2007-2011)،وكانت أصبحت يومها «ماري أنطوانيت» القصر الرئاسي السوري،زوّدها **باول** بـ «خريطة طريق لإعادة هيكلة الجيش السوري»،بما في ذلك «تفكيك الحرس الجمهوري وتحويله إلى مجرد كتيبة مراسم،بدلاً من دمجه في الجيش النظامي»، وفق تقرير رفعه رئيس شعبة المخابرات العسكرية آنذاك، **آصف شوكت**، إلى **بشار الأسد**. وحين انفجرت الأزمة الوطنية في العام 2011،كانت **الأخرس** تمكنت من تفكيك حوالي ثلاثة ألوية بالفعل(من سلاح الدبابات والمدفعية الصاروخية)،أو ما مجموعه فرقة كاملة تقريباً،وتسريح ملاكاتها البشرية(أكثر من ثلاثين ألف ضابط وعسكري) وإرسالهم إلى بيوتهم أو إلى وحدات عسكرية ومدنية أخرى، قبل أن تتوقف عملية التفكيك بعد انفجار الأزمة!

لم يكمل **جوناثان باول** عامه الثاني في البنك المذكور؛فقد غادره ربيع العام 2011 بالتزامن مع اندلاع الانتفاضات الشعبية في عدد من الدول العربية لينشىء،بتكليف من المخابرات البريطانية، مؤسسة «إنتر ميدييت Inter Mediate » التي وضعت لنفسها مهمة«القيام بالوساطة والتدخل لحل النزاعات سراً،حيث لا يمكن للمؤسسات السياسية والديبلوماسية أن تعمل علناً»،كما جاء في ديباجة تأسيسها. وسيُقيّض لهذه المؤسسة أن تلعب دوراً كبيراً في تدريب **الجولاني** وفتح قنوات تواصل حتى بينه وبين حكومات مختلفة في المنطقة،بمن فيها الدوائر الأمنية الإسرائيلية،من خلال مساعِدته آنذاك والمديرة التنفيذية الحالية للمؤسسة **كلير حجّاج-شابيرو** Claire Hajjaj-Shapero. وهذه الأخيرة بريطانية وإسرائيلية الجنسية،مولودة لأبٍ فلسطيني يدعى **محمود حجّاج** هُجّرت عائلته قسراً من مدينة يافا المحتلة في العام 1948،وأمٍّ بريطانية-إسرائيلية-أشكنازية تدعى **دايان شابيرو** Deanne Shapero وتنتمي لعائلة أحد أشهر حاخامات الطائفة الأشكنازية في إسرائيل. لكن والدها «طلّق أمها منذ أواسط التسعينيات وقطع علاقته بابنته كلياً منذ العام 2010 بعد أن اكتشف علاقة الأم، ثم الابنة لاحقاً، مع جهات استخبارية إسرائيلية»[6].

***

ليس معلوماً على وجه الدقة متى بدأت اتصالات **روري ستيوارت** و **جوناثان باول** مع **الجولاني** بتكليف،أو على الأقل بمعرفة وإشراف،من المخابرات البريطانية. لكن معظم المعلومات والشهادات التي استمعتُ إليها،والوثائق البريطانية والروسية والأردنية التي حصلتُ عليها خلال سنوات الأزمة السورية،وهو ما كنت نشرت الكثير من تفاصيله منذ العام 2012 في تقارير لصالح موقعنا الإخباري Syriatruth الذي أغلقتُه مطلع العام 2015 بعد أن تلقيتُ تهديداً مباشراً من مكتب **علي مملوك** يتوعد ويتعهد بـ «سحل أمي (التي كانت على أبواب السبعين آنذاك) وجرّها من شعرها في شوارع مدينة جبلة إنْ لم أغلقْه خلال 48 ساعة»، يتفق على أن التواصل الأول بين **ستيوارت** و **الجولاني** بدأ صيف العام 2011 بعد إطلاق سراح هذا الأخير من السجون الأميركية في العراق بتدخل بريطاني وإرساله إلى سوريا لتأسيس«جبهة النصرة لأهل الشام» كفرع سوري لتنظيم «داعش». ويومها كنتُ أول من كشف عن الأمر وكتبت تقريراً صحفياً في نوفمبر 2011 تحت عنوان:«قريباً، وبرعاية استخبارية دولية وإقليمية،منظمة إرهابية جديدة تدعى جبهة النصرة لأهل الشام». وحين تبنى التنظيم الإرهابي عمليته الدموية الأولى (تفجيرات «حي الميدان»، 6 يناير 2012)، وأصدر بياناً في 25 يناير يعلن فيه مسؤوليته عن التفجير ويكشف عن نفسه للمرة الأولى،كتب الأبله المغفّل **جورج صبرا**،زميلي في«سجن صيدنايا»صيف العام 1992 ورئيس«المجلس الوطني السوري» فيما بعد، على صفحته في «فيسبوك» في اليوم نفسه: «البيان صناعة **نزار نيوف** والمخابرات السورية.لا يوجد شيء اسمه(جبهة النصرة)،وإلا كيف يمكنه أن يعرف بوجودها قبل شهرين من إعلانها عن نفسها رسمياً!!؟من يشكك في ذلك عليه أن يراجع ما كتبه السيد **نيوف** على موقعه المخابراتي(الحقيقة)قبل شهرين»! أما **ميشيل كيلو**، الذي كان ترك العمل مع المخابرات العسكرية والمخابرات العامة في سوريا،كما سيرد معنا بالوثائق،وأصبح يومها أحد رجال وعملاء رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في دمشق وبيروت،**ماثيو إيروين** Matthew (Matt) Irwin ،كما تكشف مراسلاتهما، فاعتبر التنظيم الإرهابي المذكور مجرد «وهْم»(مقابلة مع موقع قناة «أورينت»، 4 مارس 2013، لا تزال متاحة على شبكة الإنترنت). لكن هذا لن يمنع الأبلهين القذرين كليهما، **صبرا** و **كيلو**، من الذهاب بعد فترة وجيزة إلى أوكار المنظمة الإرهابية الوليدة شمال غرب سوريا ليعلنا بعدها لوسائل الإعلام - بتكليف من الأميركيين والقطريين والخليجيين الآخرين الذين كانوا بدؤوا يمولون أنشطتهما وأنشطة غيرهما كما سيكشف رئيس الوزراء القطري آنذاك،**حمد بن جاسم آل ثانٍ** في حديثه الشهير مع بودكاست «الصندوق الأسود» (صحيفة «القبس» الكويتية، مارس 2022)- أن «جبهة النصرة جزء أصيل من ثورة الشعب السوري»!

وفيما يتعلق بأول تواصل غير مباشر بين **جوناثان باول** و **الجولاني** فمن المرجح أنه حصل حين أرسل الأول إلى الثاني جهاز «لابتوب» مع **كلير حجاج-شابيرو** خريف ذلك العام (2011). فآنذاك

كان **الجولاني** لا يزال ينشط متخفياً لتأسيس منظمته الإرهابية في ضواحي دمشق الجنوبية («مخيم اليرموك»،«الحجر الأسود»، «خان الشيح»،«سبينة»، «مخيم الحسينية» قرب «جبل المانع» ... إلخ) حيث يقيم عدد كبير من أبناء الجولان المحتل من النازحين السوريين واللاجئين الفلسطينيين، بينما كانت **كلير** لا تزال تعمل لصالح المكتب الأقليمي للمفوضية العليا لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة (UNHCR)، وتتنقل بحكم طبيعة عملها ما بين مقر المكتب في عمّان وأماكن أنشطته الأخرى في العراق ولبنان وسوريا. أما **روري ستيوارت** فكان لا يزال مكلفاً بمهمة التواصل مع المجموعات الأولى من العسكريين السوريين «المنشقين»الذين فروا إلى شمالي الأردن بدفع وتحريض من المخابرات الأردنية،ومع باقي المجموعات المسلحة التي شُكّلت لاحقاً في الجنوب السوري بدعم وتمويل وتسليح من المخابرات العسكرية الإسرائيلية و«الفرقة 210/فرقة باشان»في الجولان المحتل،ثم-اعتباراً من العام 2013-بدعم وتمويل جماعي منسَّق تحت إدارة«مركز العمليات العسكرية/موكMOC» في الأردن.ومِن خلْف قناع عمله كمستشار ثم مدير تنفيذي لفرع«مؤسسة جبل الفيروز Turquoise Mountain Foundation» في الأردن [7]،بادر **ستيوارت** إلى التواصل مع **الجولاني** بمساعدة المخابرات الأردنية التي كانت تعرف هذا الأخير جيداً منذ أن عاد إلى العراق مرة أخرى في العام 2005 للقتال في صفوف «تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»،الذي كان يتزعمه **أبو مصعب الزرقاوي** إلى حين مقتله في العام 2006. فقد كانت المخابرات الأردنية تخترق - كمقاولة من الباطن لصالح الأميركيين والبريطانيين وبالتنسيق معهم - جميع شبكات الإسلاميين المقاتلين في أفغانستان سابقاً وفي العراق وليبيا لاحقاً، لاسيما منهم المنحدرين من أصول أردنية وفلسطينية،كما كشفت الصحف البريطانية قبل سنوات طويلة(***التايمز***،6 يناير 2010؛***الغارديان***،في التاريخ نفسه).وكان هذا أمراً بدَهياً،نظراً لأن أجهزة المخابرات الأردنية والمصرية والسعودية كانت أول من أقدم في العام 1979 -بطلب من مستشار الأمن القومي الأميركي **زبغنيو بريجنسكي**،كما اعترف هذا الأخير في مقابلة نادرة مع مجلة «لو نوفيل أوبزرفاتور»الفرنسية (15 يناير 1998)- على تجنيد عشرات الألوف من الإسلاميين العرب وإرسالهم إلى أفغانستان لقتال«النظام الشيوعي الكافر وداعميه السوفييت»،قبل أن ينضم إليها النظام السوري نفسُه،الذي أطلق سراح أكثر من خمسمئة من إرهابيي«الطليعة الإسلامية/الأخوانية»،بشرط الذهاب للقتال في أفغانستان. وكان قراره هذا - وِفق أراشيف السوفييت والألمان الشرقيين التي تتضمن اعترافات بذلك من صديقهم **محمد الخولي** - بعد أن أبرم صفقةً للتخادم الأمني مع الأميركيين أواسط الثمانينيات، ودشّن خطاً رسمياً ساخناً للتنسيق في هذا المجال مع وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيق الفيدرالي الأميركي FBI(من خلال العميد **مصطفى التاجر**، رئيس«فرع فلسطين/235» في شعبة المخابرات العسكرية قبل تصفيته تسميماً في مزرعته في «المنصورة» بريف حلب الغربي في سبتمبر 2003) [8].

لم يكن عبثاً أن المخابرات البريطانية كلّفت المغامر **روري ستيورات**،دون غيره،بمهمة تدشين قناة التواصل الأولى مع **الجولاني** حين كان لا يزال في بدايات نشاطه الإرهابي المسلح على الأراضي السورية في محافظتَيْ درعا والقنيطرة و ريف دمشق الجنوبي، لاسيما في بيئة النازحين السوريين المهجَّرين من الجولان المحتل منذ العام 1967.ولا يعود السبب فقط إلى أن **ستيوارت** عرف **الجولاني** في «الحلّة» منذ أن كان ضابطَ مخابرات في فرقة «بلاك ووتش»ونائبَ الحاكم الأميركي لجنوب العراق، كما رأينا أعلاه،ولكن أيضاً إلى الطبيعة غير العادية لشخصيته ومؤهلاته قبل أي شيء آخر؛فقد جمع بين شخصيتَيْ الرحالة والأنثروبولوجي العربي الشهير **أبي عبد الله الطنجي/ابن بطوطة**(من القرن الرابع عشر) والضابط البريطاني **توماس لورانس/لورانس العرب**(من القرن العشرين).هذا فضلاً عن ثقافته «الاستشراقية»الواسعة متنوعة المشارب والاهتمامات،وإجادته حوالي نصف دزينة من اللغات الشرق أوسطية. فأواخر عقد التسعينيات،وبإلهام من سيرة **ابن بطوطة**، كما أشار في أكثر من مناسبة،جابَ قارة آسيا من غربها إلى شرقها،قاطعاً ما يزيد عن عشرة آلاف كيلو متر سيراً على الأقدام في السهول والجبال والوديان،وفي المدن والأرياف، قبل أن يُنهي رحلته في أفغانستان مع سقوط كابول في أيدي «طالبان»،وقبل أن يُكلَّف بمهمته الجديدة في جنوب العراق مع بداية الغزو الأميركي- الأطلسي. وخلال ترحاله،الذي استغرق عامين،سجّل وصوّر ما يحتاج إلى مئات الأقراص المدمجة لاستيعابه، ودوّن آلاف الصفحات من الملاحظات والمعلومات التي تناولت الجوانب الجغرافية والديموغرافية والأنثروبولوجية المتعلقة بسكان وشعوب وقبائل المناطق التي شملتها رحلاته البطّوطية ومغامراته السندبادية. وقد انتهت حصيلة رحلته -بطبيعة الحال- إلى إدارات مختلفة من حيث الاختصاص في وكالة المخابرات البريطانية MI6 قبل أن يَنشر بعضَها في عدد من مقالاته وكتبه، لاسيما منها كتاب «أمير الأهوار The Prince of the Marshes»و كتاب «الأماكن بينهما The Places in Between»، فضلاً عن برامج حوارية شارك فيها وأفلام وثائقية(مثل «إرث لورانس العرب»)كان أعدّها بنفسه لصالح قناة BBC2 وخصصها لتسجيل انطباعاته عما قام به **لورانس العرب** في شبه الجزيرة العربية والمشرق العربي وللحديث عن تأثره به وبكتاباته التي قرأها في فترات مبكرة من حياته،لاسيما منها النسخة الأصلية الكاملة من«أعمدة الحكمة السبعة»،غير المتاحة للقارىء العربي حتى اليوم(9).

يبدو من جميع الشهادات التي استمعتُ إليها خلال السنوات الأخيرة من صحفيين وبرلمانيين وأكاديميين بريطانيين عرفوا **ستيوارت** عن قرب،سواء خلال عمله في البرلمان والحكومة أو في «معهد جاكسون للشؤون العالمية»ومجلة «نيو ستيتسمان»،أن تواصله الرسمي مع **الجولاني** توقف(أو أوقِف من قبل جهة ما؟)أواخر العام 2013 أو مطلع العام التالي،إما لأسباب أمنية و/أو إدارية ترتبط بالتزاماته الرسمية المعلنة.لكن المرجّح،وفق بعض شهادات المقربين منه،أن إيقافه كان بسبب إبدائه آراءً سياسية«شعبوية فوضوية» في وسائل الإعلام الغربية تنتقد مشاركة بلاده في غزو العراق

سابقاً، وتدعو إلى عدم تكرار التجربة نفسها في سوريا.غير أن تواصله«غير الرسمي»مع **الجولاني**، كما يبدو من شهادات هؤلاء أنفسهم،استمر لاحقاً ولم ينقطع حتى بعد أن طُرِدت«جبهة النصرة» وأنصارُها من ريف دمشق الجنوبي وريف القنيطرة إلى درعا وإدلب أواخر العام 2017. وما يثير الانتباه أن من حلَّ مكان **روري ستيورات** في مهمة التواصل الرسمي مع **الجولاني** لم يكن سوى **جوناثان باول** ومساعديه في المؤسسة التي أنشأها ربيع العام 2011،لاسيما منهم (بعد سبتمبر 2018)نائبته **كلير حجّاج -شابيرو** و زميلتها الصحفية المستعربة و«المتفرّسة»(تجيد الفارسية) **لوسي ستيوارت**. وهذه الأخيرة ليست في الواقع سوى ابنة عم **روري ستيوارت** نفسه،رغم أنها عمدت إلى التلاعب بطريقة كتابة اسمها الثاني في العالم الافتراضي ليصبح Stuart،بدلاً من Stewart، حين عملت في العراق وسوريا وتركيا ومصر لصالح قناة«العربية»السعودية،وقناة «الغد العربي» الإماراتية التي يملكها **محمد دحلان**،رجل«الموساد»الشهير ومستشار حاكم الإمارات العربية **محمد بن زايد**، وعمدتْ إلى إزالة جميع صورها الخاصة من شبكة الإنترنت، و وضْع معلومات «تضليلية» تفيد بأنها تقيم وتعمل في كاتالونيا بإسبانيا! ومن المعتقد،وفق مصدر إعلامي بريطاني واسع الاطلاع في عالم الإعلام البريطاني والعربي الذي يتخذ من لندن مقراً له، أن **لوسي ستيوارت** هي من جنّد الصحفي **موسى العمر**، يوم كانا يعملان معاً في قناة «الغد العربي»،لصالح البريطانيين،وكلفته -مع صحفيين آخرين آخرين(مثل: **محمد الفيصل**/«أورينت»؛**أدهم أبو الحسام**/«الجزيرة»)- بالمشاركة في لقاء صحفي مع **الجولاني** المقنّع كان البريطانيون هم من رتّب له ليكون في مكان سري في إدلب أواخر العام 2015،وجرى بثه عبر القنوات المذكورة يوم السبت في 12 ديسمبر من العام المذكور!؟ وكان هذا اللقاء هو الإطلالة الصحفية الثانية التي يظهر فيها **الجولاني** مع وسيلة إعلام بعد مقابلته مع **أحمد منصور** في «الجزيرة» قبل ذلك ببضعة أشهر، والتي وقف وراء ترتيبها السفير البريطاني في قطر آنذاك، **نيكولاس هوبتون** Nicholas Hopton، الذي تواصل شخصياً مع وزير الخارجية القطري **خالد بن محمد العطية** لهذه الغاية،وفق المصدر الإعلامي نفسه.

مع ذلك،وبعد طول غيابٍ ظاهريّ عن المنطقة دام أكثر من عشر سنوات،عاد **روري ستيوارت** إلى الظهور مجدداً قرب **الجولاني** في فبراير 2025،إنما في أروقة «القصر الجمهوري»السوري هذه المرة، ومن خلال مقابلة مطولة مع هذا الإرهابي الوهابي الدولي القذر، في برنامج «بودكاست The Rest is Politics». وفي هذه المقابلة التي كانت الأولى التي يجريها **الجولاني** مع الإعلام الأجنبي بعد سقوط دمشق في قبضة التحالف الإسرائيلي-السلجوقي غير المعلن،كان لافتاً أن **ستيوارت** أحضر معه،كمحاور شريك، صديقَه العتيق **ألستير كامبل**. ولم يكن هذا الأخير سوى ضابط المخابرات البريطاني العريق **ألستير كامبل** Alastair Campbell نفسِه،الذي عرفه العالم قبل نحو ربع قرن كأحد أشهر نجوم فضيحة النصب والاحتيال المخابراتية البريطانية-الأميركية التي ارتبطت بقضية أسلحة الدمار الشامل العراقية،حين كان يومها مديرَ الاتصالات والشؤون الاستراتيجية في حكومة

طوني بلير وضابطَ الارتباط والتنسيق بين رئاسة الحكومة وإدارة المخابرات البريطانية خلال الأعوام (2000-2003)!

ما إن تسلم **جوناثان باول** ملف **الجولاني** من زميله **روري ستيوارت** أواخر العام 2013 أو بدايات العام التالي،حتى باشر وزملاؤه في «إنتر ميدييت» برنامجاً تدريبياً وتأهيلياً مكثفاً لوضع **الجولاني** تحت جناحَي المخابرات البريطانية بشكل مطلق،بما في ذلك تقوية نفوذه العسكري ميدانياً على حساب بقية المجموعات المسلحة الأخرى، لاسيما منها فصائل ما يسمى«الجيش السوري الحر»،بل وحتى إعطاؤه دروساً في اللغة الإنكليزية! ومن أجل ذلك جرى تكثيف اللقاءات مع الإرهابي والسفاح المذكور في مناطق مختلفة توزعت ما بين«عقربا» شمال الأردن(التي كان يُنقل إليها من ريف درعا الغربي عبر«وادي اليرموك»بوساطة السيارة الخاصة برئيس فرع المخابرات الأردنية في «إربد»،**أحمد حسني حاتوقاي**،مدير عام المخابرات الأردنية حالياً)،وأنطاكيا في لواء اسكندرون المحتل والجانب «التركي» من «معبر باب الهوى»ومدينة إدلب نفسها(بعد العام 2017)، بل وحتى في فيللا«القصر الأحمر» في بلدة«الدانا»في ريف إدلب الشمالي،التي أقام فيها **الجولاني** وزوجته لبعض الوقت.وفي إحدى المراحل(خريف العام 2011 أيضاً)حين كانت«جبهة النصرة»لا تزال قيد التأسيس، وقبل أن يعلن عنها ببضعة أشهر،وصل الأمر إلى حد «تسلل» **كلير حجاج - شابيرو** من الأردن حيث كانت تعمل هناك مع الأمم المتحدة منذ مطلع العام المذكور،إلى «مخيم اليرموك» للاجئين الفلسطينيين جنوب دمشق للاجتماع بضع ساعات مع **الجولاني** الذي كان مختبئاً آنذاك في حِمى أبناء عشيرته النازحين من قرى الجولان المحتل التي دمّرها الاحتلال. وخلال اللقاء سلمتْه جهازَ «لابتوب»حديثاً جداً بمعايير تلك الفترة،كهدية أحضرتها له من لندن خلال إحدى إجازاتها الأخيرة. ومن المفارقات المذهلة والمضحكة معاً أن «اللابتوب»، الذي زُرع فيه جهازAnimal Pointer GPSمن النوع الذي يستخدمه علماء الحياة البرية لتتبع حركة الحيوانات غير الأليفة، لاسيما منها الحيوانات النادرة المهددة بالإنقراض،وقع بعد وقت قصير في أيدي أحد ضباط «الفرع 235» في المخابرات العسكرية السورية عند مداهمة المكان الذي كان يختبىء فيه **الجولاني** قبل أن يتمكن هذا الأخير من الفرار إلى حي«الحجر الأسود» المجاور. وكانت محتويات هذا«اللابتوب»طرف الخيط الأول الذي قاد المخابرات العسكرية إلى معرفة شخصية **الجولاني** والمطابقة بينها وبين شخصية **أحمد حسين الشرع** نفسه،الذي سبق له أن تدرّب أوائل العام 2005 - مع المئات غيره من الجهاديين المتطوعين، سوريينَ وعرباً آخرين- في معسكرات«الفوج101»،التابع لـ«الحرس الجمهوري»(في منطقة «جديدة شيباني» بريف دمشق)، قبل إرسالهم إلى العراق بالتنسيق مع «فرع فلسطين/235»و«فرع دير الزور/243»في المخابرات العسكرية،وأسراب النقل الجوي (راجع ملحق الوثائق)!وبحسب النائب البريطاني الذي أفادني بقصة «اللابتوب» الذي نقلته **كلير حجّاج-شابيرو**، وهو ما تأكدتُ منه لاحقاً من مصدر في دمشق، لم يكن **الجولاني** يعرف يومها الهوية الحقيقية لضيفته،التي قدّمت

نفسها له في لقائهما الأول على أنها«باحثة اجتماعية تعدّ تقريراً مسْحياً عن الآثار الاقتصادية والمالية والاجتماعية التي خلفتها أحداث الربيع العربي لصالح صندوق الأمم المتحدة للسكان UNFPA و مجموعة العشرينG20»؛ ولا أن «اللابتوب» كان يحتوي الجهاز المذكور أو أنه مُرسَل من **جوناثان باول** بالذات!لكن الأكثر إثارة من هذا كله،وفق تعبير المصدر،هو أن «البريطانيين،وبفضل برنامج Absolute Home & Office الذي زرعوه في جهاز اللابتوب مسبقاً، تمكنوا من التسلل إليه ومحو الكثير من محتوياته فور أن وقع في أيدي السوريين،وقبل أن يكتشف هؤلاء - وإن متأخرين قليلاً- عملية التسلل إليه»!ومن المؤكد،كما يمكن الافتراض،أنهما كليهما،**الجولاني** و **كلير**، يستعيدان هذه الوقائع اليوم ويضحكان بملء أشداقهما في «قصر الشعب» المغتَصب!

في أي حال، يبقى أبرز ما قام به **باول** خلال السنوات الثلاث الأولى من تواصله «الشَّبَحي» مع **الجولاني** هو عمله خريفَ العام 2014 على تأسيس منظمة «الخوذ البيضاء» الإجرامية بالتعاون مع صديقه ضابط المخابرات البريطانية **جيمس لو ميسورييه** James Le Mesurier،الذي كان يعمل يومها - بالاشتراك مع شركات أمنية إسرائيلية - على إنشاء البنية التحتية الأمنية في الإمارات العربية(أومشروع «بيغ برذر الإماراتيUAE Big Brother»:أنظمة مراقبة الاتصالات،زرع الكاميرات الخفية في الشوارع والمطاعم والمقاهي وغرف الفنادق...إلخ)، بعد ثماني سنوات من مشاركته، باسم المخابرات البريطانية، في عملية جيش الاحتلال الإسرائيلي لاختطاف قائد «الجبهة الشعبية للتحرير فلسطين»،**أحمد سعدات**،من«سجن أريحا».فصيف العام المذكور(2014)، بدأ الصديقان المذكوران عملية تجميع فِرَق متطوعي الدفاع المدني والإغاثي الأهلية في عدد من المدن السورية وتحويلها إلى منظمة«احترافية»واحدة، ولكن مُلحقة بـ«جبهة النصرة»كذراع «إغاثية»تابعة لها تحت اسم «الخُوذ البيضاء White Helmets». وفور تأسيس هذه الأخيرة بدأ منتسبوها يخضعون لدورات تدريبية في تركيا على أيدي متخصصين بريطانيين وأتراك، فضلاً عن إماراتيين وإسرائيليين من منظمة الإسعاف الإسرائيلية«نجمة داود الحمراء מגן דוד אדום».وكان من بين المهام غير المعلنة لـ«الخوذ البيضاء»، لاسيما في الجنوب السوري،جمع معلومات لصالح إسرائيل عن المواقع والمراكز العسكرية التابعة للجيش السوري(باعتراف ضابط البحرية السورية «المنشق» العميد **أحمد رحال** في تسجيل مرئي لا يزال متاحاً على الإنترنت)،وفبركة أفلام دعائية تحريضية لاتهام النظام بارتكاب جرائم حرب، لاسيما في مجال الاستخدام المزعوم للسلاح الكيميائي،رغم أن النظام لم يكن بحاجة إلى من يخترع جرائم كاذبة ويلصقها به،نظراً لاقترافه فعلاً جرائمَ مروّعة تكفي لأكثر من نسخة جديدة من «محكمة نورمبرغ»!ومن الواضح أن الرائحة الكريهة التي فاحت من الأنشطة القذرة التي كانت تقوم بها «الخوذ البيضاء»في وسائل إعلام عالمية مختلفة،لاسيما بعد ثبوت تورطها في فبركة استخدام النظام للسلاح الكيميائي(بهدف تجريد سوريا من هذا السلاح وإرغامها على الانضمام إلى «منظمة حظر الأسلحة الكيميائية OPCW»،الأمر الذي حصل فعلاً في سبتمبر 2013)،وانكشاف علاقاتها

المالية بوكالات مخابرات غربية مختلفة،قد تسببت كلها- بطريقة ما وعلى نحو أشبه بالحروب السرية التي تختلط فيها أعمال المافيا بأعمال أجهزة المخابرات- في تصفية مؤسسها ومديرها الفعلي **جيمس غوستاف إدوارد لو ميسورييه** (وهذا هو اسمه الكامل) في ساعة مبكرة من فجر يوم 11 نوفمبر 2019 بمدينة استانبول التركية،حيث وُجدت جثتُه ملقاةً تحت نافذة الشقة التي يقطنها مع زوجته في الطابق الثالث من المبنى الذي كان مكتباً لعصابة«الخوذ البيضاء» في الآن نفسه،وكان يعمل فيه ثلاثة سوريين على لأقل، من بينهم **رائد صالح**،الذي خلَفه في وظيفته على رأس المنظمة. وقد أظهر التشريح الطبي الشرعي يومها أن جمجمته وطرفيه السفليين تعرضت كلها للتكسير والتهشيم. إلا أن هذا لم يمنع السلطات الأمنية والقضائية التركية من المسارعة إلى إقفال ملف القضية بعد أن وصفتها بأنها عملية«انتحار»،رغم وجود تقارير أمنية تركية تتحدث عن خلفية جنائية لموته،ربما تكون زوجته السويدية الجنسية،**إيما ويندبيرغ** Emma Winberg،التي عملت في محطة المخابرات البريطانية في دمشق، ضالعة فيها بأوامر من لندن أو عاصمة أخرى [10].

مع هذا كله،يبقى مشروع **جوناثان باول** لتسليح «المعارضة الإسلامية السورية المعتدلة»، حسب وصفه،بأموال خليجية،أحدَ أبرز ما قام به منذ إنشائه مؤسسة«إنتر ميدييت»ربيع العام 2011، أو ربما الأبرز والأخطر على الإطلاق.وقد لجأ يومها إلى الاستعانة بالسفير الأميركي في سوريا، **روبرت فورد**، فور تثبيت هذا الأخير سفيراً معتمداً في دمشق في 24 أكتوبر من العام المذكور،من أجل إنجاز مشروعه التدميري. ولم يكن هذا اللجوء لأن **فورد** يتمتع بمواهب خاصة(مستعرب و«متترّك»/يعرف التركية)، ولكن لإدراكه جيداً أن هذا الأخير كان أول من أسرّ لنظيره البريطاني في دمشق **سايمون كوليس** Simon Collis،منذ صيف العام 2011، بأن «تسليح المعارضة السورية السنية هو المسار الوحيد الذي يمكن أن يقود إلى كسر وتبديد الهلال الشيعي قبل أن يتحول إلى بدر كامل يحيط بإسرائيل من جميع الجهات فيخنقها نهائياً وإلى الأبد؛ ولأن المسلمين السنة العرب هم الوحيدون القادرون والمستعدون،كما أثبتت تجارب العقود الماضية،على إقامة علاقات مع إسرائيل وإبرام صفقات سلام معها،كونهم يشكلون الأكثرية العددية ويمكن توجيه الرأي العام في أوسطاهم من خلال أصدقائنا وحلفائنا في المنطقة،ولأن العدو الأول لهم في فقههم الديني وشريعتهم ليس اليهود وإسرائيل،وإنما الشيعة بطيفهم الواسع وفِرَقهم المختلفة...إلخ» [11]!

إضافة لذلك،كان **باول** يدرك جيداً،ولعل هذا هو الأهم،أن **فورد** صاحب كلمة مسموعة ويُصغى إلى آرائه بجدية واهتمام في «البيت الأبيض» منذ أن كان المستشار السياسي لسفارة بلاده في بغداد (2004-2006)،إلى حد أنه جرى تعيينه سفيراً لدى دمشق بقرار رئاسي،وبضغط من وكالة المخابرات المركزية،دون المرور بالإجراءات المعروفة التي تقتضي موافقة الكونغرس الذي أبقى ملف **فورد** في أدراجه قرابة عام كامل دون أن يبت بأمره،رغم أن **فورد** كان موجوداً في دمشق منذ ديسمبر

2010 دون اعتماد رسمي! وفضلاً عن ذلك،كان **باول** على درجة من النباهة بما يكفي لكي يفهم جيداً أن مشروعاً استراتيجياً خطيراً و واسعاً ومكلفاً من هذا النوع(تسليح«المعارضة»السورية)لن يكون بالإمكان تمريره لدى دول المنطقة وإقناعها به وبتأمين التمويل اللازم له دون موافقة الولايات المتحدة وغطائها السياسي والأمني،ولهذا يجب أن يكون **فورد** هو صاحبَ المشروع رسمياً والمبادر إلى اقتراحه وتبنّيه. وهكذا رفع **فورد** بالفعل مشروع **جوناثان باول** إلى رؤسائه في واشنطن كما لو أنه من بنات أفكاره الخاصة.وكان لافتاً أن أول من تلقفه وطَرِب له هو مدير وكالة المخابرات المركزية **ديفيد بترايوس** (الذي كان يعرف **الجولاني** خلال فترة اعتقاله في «سجن بوكا» سجن أبو غريب»، حين كان قائد القوات متعددة الجنسية في العراق من فبراير 2007 إلى سبتمبر 2008) ونظيره البريطاني،مدير الـ MI6، **جون ساورز** John Sawers ، و رئيس الوزراء الإسرائيلي **بنيامين نتنياهو** الذي كان من أوائل من أحيطوا علماً بمشروع التسليح واستُشيروا بشأنه، فما كان منه إلا أن وافق عليه فوراً ودون تردد كونه يلبّي استحقاقات الشعار الذي رفعه منذ العام 2009 وتعهد فيه بـ«إغلاق معبر السلاح الشيعي الإيراني في سوريا إلى حزب الله وحماس». وكما كان متوقعاً منه،أصبح **نتنياهو** على الفور-إلى جانب الملك الأردني **عبد الله الثاني**- صاحبَ الدور الأكبر في إقناع الرئيس الأميركي **باراك أوباما** بمشروع التسليح،نظراً«لجدواه الكبيرة وأهميته الحاسمة في تغيير خريطة الشرق الأوسط والقضاء على المحور الإيراني الشيعي وهِلاله مرة واحد وإلى الأبد»،كما قال الملك الأردني لمضيفه **أوباما** في«البيت الأبيض»في يناير 2012. وبعد موافقة الرئيس الأميركي على المشروع كُلّفت «إدارة الأنشطة الخاصةSpecial Activities Division» في وكالة المخابرات المركزية بتنفيذه اعتباراً من أواخر يناير 2012 بالتعاون مع نظيرتها البريطانية، ولكن بعد أن أُعطِي له الاسم المشفَّر(TSO)في أروقة وسجلات الإدارة الأميركية؛ وهو اختصار لعبارة «عملية خشب الجمّيز Timber Sycamore Operation». وقد بقي هذا المشروع سراً مكتوماً،بما في ذلك اسمه الرسمي،إلى أن افتُضِح أمره وجرى إيقافه من قبل الرئيس **أوباما** في العام 2016.هذا ولو أن صحفي التحقيقات الأميركي الأكثر شهرة في عصرنا،**سيمور هيرش** Seymour Hersh، كان أول من أشار منذ ربيع العام 2014 إلى وجود عملية أو مشروع أو برنامج من هذا النوع يجري تنفيذه سراً منذ العام 2012،لكنه لم يعرف اسمه الرسمي،فأطلق عليه اسم«مَسْرب الجرذان» أو «خط الفئران The Rat Line»في تحقيق نشره في مجلة«لندن ريفيو أو بوكس»(17 أبريل 2014)، بعد أن رفضت مجلة «ذي نيويوركر»،التي كان يتعاون معها منذ سنوات طويلة،أن تنشره «لأنها لم تصدّق ما جاء فيه من معلومات خطيرة»، كما أبلغني في إحدى رسائله الإلكترونية خلال فترة تعاوننا ونقاشاتنا في السنوات الأولى من الأزمة السورية. وعبر«مَسْرب الجرذان» هذا،وتحت إشراف غرفة «الموك MOC»التي أنشِئت في عمّان من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا(وإسرائيل كعضو مراقب) والأردن ودول الخليج (باستثناء عُمان والكويت)، جرى تنظيم جِسرَيْ إمداد،بحري وجوي، شُحِنت

عبرهما عشراتُ آلاف الأطنان من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة من دول أوربا الشرقية ومنطقة البلقان وليبيا إلى سوريا عبر الموانىء التركية («ميناء اسكندرونة» المحتل و«ميناء تاسوجو Taşucu») وعبر ميناء العقبة الأردني، فضلاً عن مطارات البلدين،بمساعدة أجهزة المخابرات فيهما. ولم يوفروا في عملية التسليح السرية هذه حتى ميناء طرابلس شمال لبنان (وإن بشكل غير رسمي ودون موافقة السلطات اللبنانية) إلى حين ضبَط الجيش اللبناني إحدى السفن،من أصل حوالي ثلاثين سفينة،وصادر حمولتها القادمة من بنغازي في ليبيا في أبريل 2012(باخرة «لطف الله2»)، التي كان يرعاها كل من الوزير «الداعشي» **أشرف ريفي** ورئيس جهازه الأمني، العميد **وسام الحسن**، المرتبط بالمخابرات الفرنسية والأميركية إلى حين اغتياله بسيارة مفخخة في أكتوبر 2012 بينما كان خارجاً من شقة سرية في«حي الأشرفية» في بيروت بعد «اجتماع عمل»مع الصحفية اللبنانية«م.م.» التي كانت تعمل في حقل الدعارة السياسية والأمنية،والتي كانت نقلت للتو مقر إقامتها من أحضان «الفرقة الرابعة» و**ماهر الأسد** وصحيفة «الثورة» الحكومية السورية،التي كانت تنشر لها«مقالاتها الافتتاحية»على الصفحة الأولى،إلى أحضان السعودية وإسرائيل!).أما إيقاف«عملية خشب الجمّيز» وقوافل«جرذانها»بأوامر **أوباما** أواخر العام 2016 فكان بسبب اكتشاف وكالة المخابرات المركزية أن زبانيتهم وزبائنهم من ضباط المخابرات الأردنية وقادة ميليشيات«الجيش السوري الحر» وبقية مجموعات«المعارضة الإسلامية المعتدلة»، حسب تسمية **روبرت فورد** و**جوناثان باول**،أقدموا على سرقة قسم كبير من تلك الأسلحة وبيعها لحسابهم الشخصي في عموم بلدان الشرق الأوسط وأسواقها السوداء،وحتى إلى «داعش» نفسها في سوريا والعراق (***نيويورك تايمز***، 2 أغسطس 2017)[12].

على أي حال، كان ثمة دافع آخر جعل **جوناثان باول** يلجأ إلى الاستعانة بخدمات السفير **فورد**، خصوصاً بعد انتهاء خدمة هذا الأخير في السلك الديبلوماسي مطلع العام 2014 وانتقاله للعمل مع «معهد الشرق الأوسط» في واشنطن؛وهو دافع لا يقل أهمية أو خطورة عن دافعه الآخر المذكور أعلاه. فخلال الفترة القصيرة التي كان أمضاها **فورد** في دمشق منذ العام 2010، تمكن من بناء شبكة علاقات واسعة وعميقة مع عدد كبير من رموز المعارضة اليمينية والإسلامية السورية ومن قادة النظام الأمنيين والعسكريين والتكنوقراط،في آنٍ معاً.وقد أتاح له ذلك أن يقود بنفسه - مع نظيره الفرنسي **إريك شوفالييه** - مظاهرة يوم الجمعة 8 يوليو 2011 («جُمعة لا للحوار»)ضد النظام في مدينة حماة وسط سوريا،انطلاقاً من منزل الطبيبة **فداء الحوراني**،ابنة الزعيم الوطني الراحل **أكرم الحوراني**،ومن المشفى الذي تملكه مع زوجها الطبيب الفلسطيني **غازي عليّان** ويحمل اسم العائلة. وكان ذهاب **روبرت فورد** إلى حماة،و«توريط»الطبيبة المذكورة باستقباله وتنسيق اتصالاته مع وجهاء المدينة والاجتماع بهم في أحد مساجدها،من بنات أفكار رجل وكالة المخابرات المركزية العتيق،**رياض الترك**،قبل أن يحصل صديقه السفير **فورد** على موافقة رؤسائه في واشنطن، وبعد أن أبلغ وزارة الخارجية السورية برحلته إلى المدينة، رغم أنه لم يكن بحاجة إلى ذلك وفق«اتفاقية فيينا

للعلاقات الدبلوماسية/1961»،نظراً للمعاملة الأميركية بالمثل فيما يخص تحركات السفير السوري في واشنطن آنذاك.وهذا ما يناقض الادعاء الاحتجاجي الكاذب والغبي الذي أطلقته يومها مستشارة **الأسد**، **بثينة شعبان**،عن أن السفير «خالف الأعراف الدبلوماسية بما أقدم عليه في حماة»[13].

أما من وفّر الحماية لموكب السفير **فورد** ونظيره الفرنسي **شوفالييه**،في طريقهما من دمشق إلى حماة،وطوال اليومين اللذين قضياهما في مدينة النواعير،فلم يكن سوى فريق الحراسة الخاص بوزير الدفاع السوري،العماد **علي حبيب**،وفق ما عِلِمتُه آنذاك عبر قناة تواصل خاصة من نائب الرئيس آنذاك،**فاروق الشرع**،و وزير الخارجية **وليد المعلم**. وهذا ما أكدتْه لاحقاً وثيقة سرية رسمية صادرة عن «مكتب الأمن القومي» طالبتْ **بشار الأسد** بتاريخ 12 يوليو 2011 بـ«إعفاء **حبيب** من منصبه فوراً بسبب ارتباطاته الخارجية»،الأمر الذي وافق عليه المذكور على مضض وبعد تردد ومماطلة استغرقا قرابة شهر كامل،لكن دون الموافقة على إحالته إلى القضاء العسكري كما طالبت المذكرة (راجع ملحق وثائق الكتاب).وكانت وكالة المخابرات المركزية،بمساعدة السفير السعودي آنذاك في واشنطن،**بندر بن سلطان**، وعمه **مقرن بند عبد العزيز** (حاكم مدينة «يثرب»/ «المدينة المنورة»، ورئيس الاستخبارات فيما بعد)، تمكنتْ من تجنيد **علي حبيب** منذ العام 1991 حين قاد القوات السورية خلال«حرب تحرير الكويت». لكن ما حصل معه قبل ذلك بعشر سنوات،خلال الغزو الإسرائيلي للبنان في العام 1982،يبقى الأكثر إثارة للذهول. فيومها،حين كان قائد «اللواء58/مشاة ميكانيكية» في «الفرقة الأولى» التي شاركت في التصدي للغزو،وعشية«معركة السلطان يعقوب»، «اختفى» لمدة ثلاثة أيام قبل أن يظهر ويدّعي خلال التحقيق معه أنه«ضلّ طريقه وضاع في الوديان والأحراج المجاورة بعد تدمير لوائه». لكنه ما لبث أن غيّر إفادته وادعى أنه«كان أسيراً لدى الفرقة الإسرائيلية 252،قبل أن يتمكن من الفرار من الأسر بعد الهجوم المعاكس التي شنته الفرقة الثالثة في القوات السورية، والذي تسبب بفوضى في الفرقة [الإسرائيلية]المذكورة في منطقة السلطان يعقوب. وقد ساعده مزارعون من أبناء المنطقة للوصول إلى أقرب وحدة عسكرية سورية في منطقة مجدل عنجر»! ولهذا بقيت قضيته موضع شكوك أمنية كبيرة إلى حين جرى تبادل الأسرى بعد عامين على ذلك(في 29 يونيو 1984) عبر «معبر القنيطرة» في الجولان المحتل. ويومها جرى إخضاع الأسرى المحررين، كما يحصل روتينياً في مثل هذه الأحوال، للتحقيق من قبل لجنة تضم ممثلين لأكثر من جهة عسكرية وأمنية،أبرزها:«الفرع235» في شعبة المخابرات العسكرية،«القضاء العسكري»، «فرع المخابرات الجوية» و«إدارة الخدمات الطبية».

كانت اللجنة تحت إشراف اللواء **علي دوبا**،رئيس شعبة المخابرات، وكان هدفها الأساسي معرفة ما جرى مع الأسرى العائدين خلال العامين اللذين قضوهما في الأسر.وخلال التحقيق أدلى الأسير المحرر،العقيد **علي بنيّات**، الذي كان قائد كتيبة في «اللواء 58»نفسه،وآخرون من زملائه في قيادة

اللواء،بإفادات تؤكد أن «العميد **علي حبيب** لم يتعرض للأسر، بل ذهب إلى الإسرائيليين برجليه وقضى عندهم ثلاثة أيام». وقد تقاطعت هذه الإفادات مع إفادتين أخريين كان أدلى بهما سابقاً **أحمد جبريل**، الأمين العام لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين/القيادة العامة»، ورفيقه **عمر الشهابي**، المسؤول الأمني أو العسكري في «الجبهة» التي شاركت قواتها بفعالية في معارك «السلطان يعقوب» وساهمت في أسر ثلاثة جنود إسرائيليين،أو جثثهم،واغتنام عدد من الدبابات والعربات الإسرائيلية. وعندها طلب **علي دوبا** من **حافظ الأسد** إحالة **علي حبيب** إلى القضاء العسكري بتهمة «الفرار من ساحة المعركة والتسبب بتدمير لوائه والاشتباه به في التواطؤ مع العدو خلال الحرب»،كما سيرد معنا في وثائق رسمية سورية خاصة في هذا الكتاب تنشر للمرة الأولى أيضاً («ملحق الوثائق»). وغني عن البيان أن هذه القضية،كما الكثير غيرها من القضايا الخطيرة المتعلقة بالأمن الوطني، كقضية رئيس «مكتب الأمن القومي»الدكتور **عبد الرؤوف الكسم** وزوجته الإسرائيلية(المُسجَّل زواجها في الدوائر الرسمية السورية في العام 1961 بوثيقة بروتستانتية سويسرية مزيفة)،وقضية تجنيد وزير الدفاع اللاحق **علي محمود عباس**،خلال متابعته دراساته العسكرية العليا في باكستان أواخر التسعينيات، ثم في هولندا وبريطانيا،بمساعدة **أسماء الأخرس** وحاكم الإمارات العربية **محمد بن زايد**، لم تجد طريقها إلى القضاء المعنيّ وبقيت حبيسة الأدراج لأسباب مختلفة؛بل وجرت مكافأة العديد من المتورطين فيها وترقيتهم لاحقاً،كما حصل مع **حبيب** نفسِه. ولعل الأكثر إثارة للسخرية من هذا كله هو أن نصّابي«المعارضة»السورية الجديدة،المولودة في العام 2011،اخترعوا رواية سوقية رخيصة تدّعي أن إقالة **حبيب** في 8 أغسطس 2011،كانت بسبب «رفضه زج الجيش السوري في مواجهة الشعب والمتظاهرين السلميين»،قبل أن يفبركوا أخباراً أخرى عن«اختفائه»،تارة من خلال الادعاء بأن النظام أعدمه،وتارة أخرى من خلال الادعاء بأنه «انشق» وفرّ إلى تركيا. وكان العميل الإسرائيلي – الأميركي **كمال اللبواني**، وعلى جري عادته،أول من فبرك و روّج الخبر الأبله، مؤكداً أن **حبيب** «أصبح في تركيا»،قبل أن يتبعه«شيخ النصابين»،المحامي **هيثم المالح**،وقبل أن تتورط «رويترز» نفسها في توزيع الخبر،ولكن نقلاً عن مصدر خليجي! ولعله من نافل القول أن نشير هنا إلى أن المذكور بقي يعيش و يمارس هوايته المفضلة (تربية كلاب الصيد السلوقية وإهدائها لمعارفه) حتى وفاته مطلع العام 2020 في مزرعته و وسط ممتلكاته بريف طرطوس ودمشق،التي اشتراها بملايين الدولارات المدفوعة له(ولعشرات الضباط السوريين الآخرين غيره)من قبل الملك السعودي **فهد بن عبد العزيز** بعد«تحرير الكويت»في أبريل 1991،بناء على توجيهات(أو بالأحرى أوامر) الجنرال الأميركي **نورمان شوارتزكوف** Norman Schwarzkopf، قائد قوات «التحالف الدولي لتحرير الكويت»!

***

على أي حال، في 2 ديسمبر 2024،وقبل خمسة أيام من فرار **بشار الأسد** إلى موسكو، كما يقضي التفاهم الروسي-التركي(الموجودة صورة عن مسودته الأولى في «ملحق الوثائق» نهاية هذا الكتاب، بتوقيع رئيسَيْ جهازي المخابرات في البلدين، **سيرغي ناراشكين** و **ابراهيم قالين**،والذي كنت نشرت صفحته الأولى على حسابي في «فيسبوك»،الذي كان يحمل اسم الصديق الراحل **جورج فاضل متى**)، أصدر رئيس الوزراء البريطاني الجديد **كير ستارمر** قراراً بتعيين **جوناثان باول** مستشاراً للأمن القومي؛فما كان على هذا الأخير-كما تقضي القوانين النافذة الخاصة بموظفي الخدمة العامة - سوى أن يتقدم باستقالته من رئاسة مؤسسة «إنتر ميدييت Inter Mediate»التي أنشأها وأدارها منذ العام 2011،فضلاً عن جميع مهماته الأخرى،لاسيما منها المتعلقة بتدريب **الجولاني** والإشراف على اتصالاته وظهوره الإعلامي وتقديم الاستشارات السياسية له. وبعد بضعة أيام حلت محله،في جميع المهمات التي كان يتولاها،نائبتُه **كلير حجّاج -شابيرو** التي كانت انضمت إلى مؤسسته رسمياً في سبتمبر من العام2018 بعد أن استقالت من عملها مع منظمات الأمم المتحدة. أما آخر «إنجازات» **باول** في الشأن السوري، قبل بضعة أسابيع من استقالته،فكان مساهمته أواسط نوفمبر 2024 - بالاشتراك مع صديقه وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلي **رون ديرمر** רון דרמר - في صياغة المسودة الأولى لـ«التفاهم الروسي-التركي» القاضي بخروج **بشار الأسد** من سوريا وتسليم السلطة إلى **الجولاني**،بعد أن وافقت عليه واشنطن بإدارتَيْها الراحلة والمنتخَبة حديثاً آنذاك (إدارة **ترامب**)، اللتين أدخلتا على التفاهم بعض التعديلات والإضافات،وبعد موافقة **نتنياهو**،الذي أدخل عليه بدوره - تحت ضغط زعيم طائفة الفلسطينيين الدروز في فلسطين المحتلة، الشيخ **موفق طريف**- تعديلاتٍ أخرى تتعلق بأبناء الطائفة الدرزية في سوريا و بالوضع الأمني في «إقليم باشان» الآرامي(المنطقة الممتدة من ريف دمشق الجنوبي حتى الحدود الأردنية جنوباً)،وبالمواطنين اليهود الذين غادروا سوريا في أوقات سابقة،وبممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة. لكن دور **جوناثان باول**، الأكثر إجراماً بحق الدولة السورية،والذي وضعها على سكة التدمير النهائي المؤكد،والتفكيك الجغرافي شبه المؤكد، كان في وقوفه شخصياً - بالتنسيق مع **ديرمر** أيضاً - وراء صياغة«خريطة الطريق»التي قدمها إلى **الجولاني** في نوفمبر 2024.وقد تضمنت هذه«الخريطة»،التي وقّع عليها **الجولاني** بخط يده وبضمانة الحكومة التركية(راجع الوثيقة ذات الصلة/«ملحق الوثائق»)عدداً من المقترحات لعل أخطرها وأكثرها خبثاً وإجراماً تلك التي تدعو حرفياً(من بين أمور أخرى سنأتي عليها في القسم/ الجزء الرابع من هذا الكتاب) إلى:

- «حلّ وتفكيك جميع مؤسسات الدولة السورية،العسكرية والأمنية والشُّرَطية، واستبدالها بأخرى مهنية،لكي لا يكون هناك أي إمكانية في المستقبل للإنقلاب على السلطات الجديدة وإعادة إنتاج النظام السابق على خلفية وطنية أو قومية راديكالية...»؛

- «حل وتفكيك جميع المنظمات الفلسطينية المتواجدة على الأراضي السورية التي ترفض اتفاق أوسلو وترفض الاعتراف بإسرائيل،بما في ذلك تشكيلات جيش التحرير الفلسطيني...» [رغم أن حلّ هذا الأخير ليس من حق أو صلاحية الدولة السورية،أياً تكن هويتُها السياسية،كونه أنشىء بقرار من أعلى سلطة في جامعة الدول العربية/مؤتمر القمة الثانية في الإسكندرية،سبتمبر 1964. وهو يتبع إدارياً ومالياً لمنظمة التحرير الفلسطينية،وإن تكن تبعيته العملياتية تعود إلى الأركان العامة السورية،كما كان عليه الأمر في مصر(«قوات عين جالوت») والأردن («قوات بدر»)، قبل أن يجري حلها في هذين البلدين بعد إبرام «اتفاقيات سلام» مع إسرائيل في العامين 1978 و 1994 على التوالي]؛

- «تسريح جميع منتسبي تلك المؤسسات العسكرية والأمنية والشُّرَطية،بما في ذلك قطاعاتها ذات الطابع العلمي المدني،وعلى رأسها مركز الدراسات والبحوث العلمية بفروعه كلها،القطاعية والاختصاصية، وتفكيك بنيتها التحتية،فور تسلّم السلطة رسمياً...؛وتسليم قائمة مفصلة بأسماء جميع العاملين في المركز وفروعه المختلفة،وكذلك ملفات المشاريع المختلفة،العسكرية والمدنية التي كان يعمل عليها ، إلى إسرائيل...». وهذا يعني تدميراً شاملاً لما يمكن تسميته بــ« الذاكرة التقنية» لسوريا؛

- «إلغاء الخدمة العسكرية الإجبارية[خدمة العلم]، وحصر مَلاك الجيش العربي السوري الجديد والأجهزة الأمنية الجديدة بالمتطوعين، على أن يُمنع المنحدرون من الطائفتين العلوية والشيعية من التطوع فيهما خلال السنوات الخمس الأولى بعد إعادة تأسيسهما،ومن الوصول إلى مراتب قيادية تعلو منصب قائد كتيبة بالنسبة للجيش ومنصب قائد منطقة إدارية بالنسبة للأجهزة الأمنية المختلفة بعد السماح لهم بالتطوع فيهما...»؛

- «إعادة النظر بقوانين الإصلاح الزراعي الصادرة في زمن الوحدة مع مصر وبعد استيلاء البعثيين على السلطة،بحيث يمكن لأصحاب الأراضي المشمولين بتلك القوانين،أو ورثتهم، استعادة أراضيهم من خلال الدوائر القضائية المختصة أو طرق إدارية أخرى».

- «منح الجنسية السورية للاجئين الفلسطينيين المقيمين،بما في ذلك إمكانية استقبال المزيد منهم مستقبلاً،سواء من إسرائيل أو قطاع غزة أو الضفة الغربية،في إطار عملية جمع شمل موسعة...»؛

- «إزالة المخيمات الفلسطينية في مرحلة إعادة الإعمار، سواء منها المعترف بها كلياً أو جزئياً من قبل وكالة غوث اللاجئين UNRWA، وتوزيع من بقي من سكانها، ومن لا يريد لا يريد منهم الهجرة، على باقي التجمعات السكانية للسوريين الآخرين بعد إلغاء العمل بقرار مجلس الوزراء رقم 1011 للعام 2021...»؛ [القرار المذكور يقيد حق الفلسطينيين في امتلاكهم بيوتاً خارج المخيمات المعترف بها رسمياً، ويتعامل معهم كما الأجانب الذين لا يستطيعون امتلاك سوى منزل واحد

وللأسرة ككل. وذلك بخلاف الوضع الذي كان عليه الأمر منذ صدور المرسوم التشريعي رقم 260 للعام 1956، الذي منح الفلسطينيين جميع حقوق المواطنين السوريين،باستثناء الحقوق المدنية والسياسية المتعلقة بحقَّيْ الترشيح والانتخاب]؛

- «اعتبار خط وقف إطلاق النار المثبّت في الاتفاقية الموقعة بين الجمهورية العربية السورية ودولة إسرائيل في جنيف بتاريخ 31مايو 1974،وفي ملاحقها التقنية، هو الحدود الدولية بين الدولتين،مع إبقاء باب التفاوض بشأن تعديله لأسباب تتصل بالمصالح الأمنية الإسرائيلية مفتوحاً في إطار أي مفاوضات لإبرام اتفاقية سلام شامل ودائم بين البلدين...»[وهذا ما يعني تنازلاً رسمياً عن الجولان المحتل، وإعطاء الضوء الأخضر لإسرائيل كي تحتل مساحات جديدة]؛

- «عدم نشر قوات مسلحة سورية يزيد تعدادها عن الحاجة إلى حفظ الأمن الداخلي جنوب خط العرض 33º.26 [مدينة «قطَنا» في ريف دمشق الجنوبي].وفي جميع الأحوال يجب أن لا يحصل ذلك إلا بعد إشعار الطرف الإسرائيلي مسبقاً بأي تحرك جنوب الخط المذكور من خلال خط ساخن يجري الاتفاق بشأنه بين الدولتين بعد استلام السلطة من النظام القائم، أو من خلال افتتاح مكتبين للتنسيق الأمني،في دمشق والقدس (...). وسيكون من حق دولة إسرائيل التحقق من تطبيق الطرف السوري لهذا التفاهم عبر جميع الوسائل المتاحة،بما في ذلك وحدات استطلاع وتفتيش بشرية برية تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي يمكنها الدخول بحرية إلى جميع المناطق الواقعة جنوب خط العرض المشار إليه....»؛

- «تقديم أقصى تعاون ممكن مع الحكومة الإسرائيلية لإجلاء مصير المفقودين الإسرائيليين في سوريا، المدنيين منهم والعسكريين،وإخلاء ممتلكات المواطنين اليهود،السوريين سابقاً،من شاغليها ريثما يتم الاتفاق بشأن مصيرها والتعويض على أصحابها جراء إشغالها غير القانوني؛ والسماح بإنشاء هيئات وجمعيات حقوقية ومالية يهودية متخصصة تتولى القيام بذلك بمساعدة الهيئات الحكومية ذات الصلة...»؛

- «تقديم أقصى تعاون ممكن مع الحكومة الإسرائيلية و/أو من يمثلها من السلطات الدينية لإعادة ترميم المعابد اليهودية التي لحقها الضرر خلال سنوات الحرب، بما في ذلك السماح بإنشاء جمعيات وهيئات ومؤسسات مهمتها الحفاظ على التراث اليهودي المعماري والثقافي في مجالاته المختلفة، وإحياؤه بمساعدة خبرات الجمعيات والهيئات الإسرائيلية واليهودية الماثلة في إسرائيل والعالم؛ وتقديم التسهيلات الأمنية والإدارية اللازمة للمؤمنين اليهود عبر العالم لتمكينهم من زيارتها...»؛

- «تقديم أقصى تعاون ممكن مع الحكومة الإسرائيلية، و/أو من يمثلها قانونياً، لإنفاذ وثائق الملكية العقارية الصادرة عن سلطات الدولة العثمانية وسلطات الانتداب الفرنسي، والتي تخص أشخاصاً يهوداً، طبيعيين أو اعتباريين،في محافظات القنيطرة ودرعا و ريف دمشق....»؛ [المقصود هنا تلك

الأراضي التي باعها أعيان سوريون خلال العهد العثماني،ثم جواسيس الحركة الصهيونية في قيادة «الكتلة الوطنية»(الجاسوس **شكري القوتلي** ورفاقه)خلال فترة الاحتلال الفرنسي،لـ«الصندوق القومي اليهودي» و«الوكالة اليهودية»(14) . وقد جرت هذه البيوع من خلال تنسيق المذكورين عبر اجتماعات مباشرة حصلت في دمشق و «غوطة دمشق» مع **بن غوريون** و **موشيه شاريت** و **خاييم وايزمان** و **إلياهو إبشتاين**،في«إقليم باشان» الآرامي، الذي يطلق أبناء محافظة درعا اسم «جيدور» على جزء منه؛

- «إعادة المُلْكيات العقارية، الوقفية منها والخاصة،في جميع الأراضي السورية المعترف بها دولياً من قبل الأمم المتحدة بتاريخ 24 أكتوبر 1945،لاسيما دمشق وحلب، إلى أصحابها الأتراك الأصليين أو ورثتهم القانونيين، على أن تكون مديرية الشؤون الدينية في رئاسة الجمهورية التركية هي الوريث القانوني للملكيات العقارية الوقفية المشار إليها. وذلك وفق صكوك الملكية التي كانت تتضمنها سجلات دولة الخلافة العثمانية في 30 أكتوبر 1918، تاريخ انسحاب آخر قوات جيش الخلافة العثمانية من الأراضي السورية بموجب **اتفاقية هدنة مودروس** Armistice of Mudros ...». [اشترطت وزارة الخارجية التركية إضافة هذا البند إلى «خريطة الطريق» التي وضعها **باول** مقابل موافقتها على ضمان تنفيذ بقية البنود الأخرى]؛

- «الإقرار بأن المناطق الإدارية التي يشكّل أبناء الطوائف المسيحية والدرزية والإسماعيلية أغلبية ساكنيها تتمتع بخصوصية اجتماعية وأمنية لا يجوز انتهاكها بأي حال من الأحوال دون موافقة ممثليها المحليين؛ويكون من حق أبناء الطائفة الدرزية والإثنية الكردية أن يحتفظوا بأمنهم الذاتي القائم حالياً في المناطق التي يشكلون أغلبية سكانها إلى أن يجري الاتفاق على صيغة دائمة مع السلطات المركزية، مع الأخذ بعين الاعتبار المصالح الأمنية لدولة إسرائيل...»؛

- «إعادة أكبر عدد ممكن من أبناء الطائفة العلوية المقيمين في تجمعات كبرى في محيط دمشق وريفها،لاسيما منهم الذي سبق لهم أن خدموا في المؤسسات العسكرية والأمنية[المقصود بذلك أحياء: «الـ 86»، «السومرية»، «عش الورور/ برزة البلد»... إلخ] إلى المناطق الأصلية التي جاؤوا منها وسط وغرب سوريا، نظراً للتهديد الأمني الذي يمكن أن تشكله بيئاتهم في محيط العاصمة على السلطة الجديدة مستقبلاً،ولارتباط هذه البيئات دينياً وسياسياً بالشيعة ويمكن أن تستخدمهم إيران وأذرعها كحواضن لأنشطتها السياسية والأمنية في المستقبل»؛

- «وضع برامج تربوية وتعليمية وإعلامية من قبل متخصصين متمكنين تبين للعلويين أنهم أتباع ديانة قائمة بذاتها وتستمد جذورها من ثقافات سورية قديمة ما قبل إسلامية، وليسوا فرعاً من الشيعة الإثنا عشرية(...)؛ لأن من شأن ذلك أن يبعدهم عن إيران وحزب الله»؛

ـ «ضبط الحدود مع الدول المجاورة ومنع تصدير أو عبور الأسلحة والذخائر و المواد الممنوع الاتجار بها أو تداولها قانونياً،وبشكل خاص إلى لبنان وإسرائيل،وإبداء أقصى تعاون وتنسيق أمني ممكنين مع سلطات تلك الدول، بما في ذلك إنشاء غرفة عمليات مشتركة فيما بينها لتحقيق هذه الغايات...»؛

ـ «الإعلان رسمياً في التوقيت المناسب الذي تراه سلطات دمشق الجديدة عن أن مزارع شبعا [التي تحتلها إسرائيل منذ العام 1967] أراضٍ مشمولة بقرار مجلس الأمن رقم 242 للعام 1967،و/أو إجراء مُقاصّة Clearing [تبادل أراضٍ] بين الأطراف المعنية تشمل القرى الشيعية الواقعة داخل الأراضي السورية في حوض نهر العاصي المتاخمة للحدود اللبنانية،لأن من شأن ذلك مساعدة الحكومة اللبنانية والمجتمع الدولي على نزع سلاح منظمة حزب الله الإرهابية وتجريد هذه الأخيرة من بيئة حاضنة لها داخل الأراضي السورية...».

ـ «.........»

ـ «.........».

ذلك بعضٌ مما ورد حرفياً في «خريطة الطريق»التي أعدها **جوناثان باول** و وافق عليها **الجولاني** بتوقيعه الصريح وضمانة تركيا في نوفمبر 2024 ،والتي سيُصار إلى التوقف عندها في الجزء الأخير من هذا الكتاب استناداً إلى وثيقة الضمانات التي وزعتها وزارة الخارجية التركية على نظائرها في إسرائيل وبعض الدول الغربية، والتي يوجد صورة عنها في محلق وثائق هذا الكتاب. ورغم أنها ليست قانوناً محلياً أو قراراً دولياً واجب التطبيق، إلا أنها تقدم مؤشراً بالغ الجدية على المدى الذي يمكن أن تذهب إليه عصابة المرتزقة العميلة التي جاء بها التحالف المخابراتي الدولي في تدمير الدولة السورية ككيان سياسي، مقابل بقاء واستمرار استيلاء عصابة الأربارتيد الإسلامي هذه في السلطة وبقائها فيها «إلى الأبد». أما **كلير حجّاج-شابيرو**،خليفة **باول** على رأس مؤسسة«إنتر ميدييت»، وبعد بضعة أيام من تعيينها في منصبها الجديد في ديسمبر 2024، فقد حزمت حقائبها على وجه السرعة وتوجهت مع مساعدتها **لوسي ستيوارت** إلى دمشق لتقيما قريباً من **الجولاني** في جناح خاص في «قصر الشعب» بحراسة طواقم من المخابرات البريطانية والتركية، وربما الإسرائيلية أيضاً، من أجل الإشراف على تطبيق «خريطة الطريق»!؟

هكذا يكون«تاريخ سوريا البريطاني» دارَ دورةً كاملة خلال ستة عقود بالتمام والكمال ليُغلِقَ في 8 ديسمبر 2024 تلك الدائرة التي افتتحها **باتريك سيل** في 8ديسمبر 1964في المبنى القديم لقيادة القوى الجوية في«شارع بغداد»!

***

بخلاف الانطباع الخاطىء،أو حتى الخادع،الذي يمكن أن يَخرجَ به القارىء بعد قراءته هذا الإطار التاريخي التوضيحي المسهب لعنوان الغلاف وسبب اختيار 8 ديسمبر 1964 كتاريخ تأسيسي لنظام

الأسد، وليس تاريخه الرسمي 13 أو 16 نوفمبر 1970،ينبغي التأكيد على أن الغاية من ذلك ليست الإيحاء بوجود«مؤامرة بريطانية»بدأت قبل ستين عاماً واكتملتْ في ختامها؛فالمؤامرات هي مجرد واحدة وحسب من«أدوات العمل السياسي»التي لا حصر لها ولأشكالها أو لمستخدِميها – أفراداً وجماعاتٍ ودولاً– في مُطلَق الزمان والمكان. لكنها لا تستطيع أن تعمل أو تنجح إلا بتوفر بيئة وظروف محلية محددة تستدعيها و/أو تحتضنها. وهي، بكلمات أخرى، مجرد ضربة عصا على قفا التاريخ لإرغامه على متابعة سيره حين يتحول إلى حمار حَرون يدور في مكانه أو يضرب حوافره في الأرض ويرفض المسير!

بتعبير آخر، إن الغاية الأساسية لهذا الكتاب هي البحث في الأسباب والعوامل التاريخية الداخلية والخارجية التي سمحت لصحفي وضابط مخابرات مثل **باتريك سيل** أن يقوم بما قام به، و لضابط مخابرات آخر مثل **جوناثان باول** أو **روري ستيوارت** أن يكررا اللعبة نفسها بعد ستين عاماً. وبصيغة أخرى: البحث في الأسباب الموضوعية التي جعلت حمارَنا،كما حمير الكثير من الشعوب القريبة والبعيدة،عنيداً وحَروناً يدور في مكانه ويضرب حافريه في الأرض ويرفض المسير صوب الوجهة التي سبقتنا إليها شعوب وأمم أخرى منذ ثلاثة قرون على الأقل، رغم أننا كنا«مركز العالم القديم»وكان لدينا شبكة صرف صحي منذ سبعة آلاف عام، بينما ظلّ ملوك وأمراء تلك الشعوب يتبرزون في البرية أو في علب من التنك ويمسحون مؤخراتهم بالحجارة حتى الأمس القريب، كما كان يفعل لويس **السادس عشر** الذي افتقد قصره في «فرساي» حتى إلى مرحاض، وافترقت عاصمة «نوره» إلى شبكة صرف صحي حتى أواسط القرن التاسع عشر!

ن. نيوف

لندن ـ مشفى كرويدون الجامعي، 10 آذار/ مارس2025

هوامش المقدمة الإيضاحية:

(1) ـ تستند هذه المعلومات إلى :

ـ مقابلة مسجلة أجراها المؤلف مع **باتريك سيل** (باريس، 15 يناير 2004)، في مكتب المحامي **وليم بوردون**، بمناسبة صدور قرار محكمة الاستئناف الفرنسية بتثبيت الحكم الصادر عن «الغرفة 17» في محكمة باريس ضد **رفعت الأسد** لصالح المؤلف في قضية «مجزرة سجن تدمر/ 1980».

ـ مقابلة مسجلة أجراها المؤلف في 12 سبتمبر 2004 ،بمساعدة خاصة من أستاذه المؤرخ **إريك هوبسباوم**، مع المدير الأسبق للعمليات الخارجية في المخابرات البريطانية **بيتر لون**،في مقر«نادي التزلج على جبال الإلب «Alpine Ski Club في لندن بعد عشرين عاماً على تقاعده من المخابرات البريطانية وأكثر من أربعين عاماً على ترؤسه محطة الوكالة في بيروت. وكان **بيتر لون** أصبح يومها رئيساً فخرياً للنادي المذكور الذي أسسه والده مطلع القرن العشرين .

ـ وثائق بريطانية وألمانية وإسرائيلية وروسية مختلفة منشورة في ملحق الوثائق،سيشار إليها- مع إفادات شخصية لشخصيات كانت على علاقة بهذه الأحداث- في أماكن مختلفة من فصول هذا الكتاب كلما كان الأمر على صلة بها.

(2) ـ مقر «آمرية القوى الجوية» القديم في «حي الأزبكية»هو المبنى نفسه الذي كان أصبح مقر «إدارة التوجيه السياسي في القوى الجوية والدفاع الجوي ومجلتها ***المرصاد»*** حين ارتكبت المخابرات الخارجية الفرنسية أمامه، بالتعاون مع المخابرات العراقية والأردنية وجماعة«الأخوان المسلمين»،مذبحة مروّعة(«مجزرة الأزبكية») بسيارة مفخخة راح ضحيتها المئات من الضحايا والجرحى من سكان المنطقة وعابري السبيل المدنيين في 29 نوفمبر 1981،فضلاً عن دمار هائل في الممتلكات العامة والمباني السكنية المجاورة. وكان دور المخابرات الفرنسية في المجزرة أمراً مجهولاً حتى كشفتُ أنا عن الأمر في تحقيق صحفي نشرتُه مطلع العام 2005، استناداً إلى وثائق ومعلومات وضعها **ماركوس فولف** بتصرفي. وبسبب ذلك تعرضت للتوقيف من قبلها بعد أن داهمت منزلي في باريس وصادرت منه ثلاثة أقراص مدمجة تحتوي على وثائق ألمانية وسورية ذات صلة. وقد جرى تهديدي بالتجريد من حق اللجوء السياسي والإحالة إلى القضاء إن لم أسحب التقرير(راجع تفاصيل القضية وما يرتبط بها في الصفحات 21، 53 وما بعد من المصدر المذكور في الهامش رقم 4 أدناه؛ وكذلك تقرير صحيفة «لوباريزيان» الفرنسية، بتاريخ 5 فبراير 2004 حول القضية نفسها). وبعد عشر سنوات على ذلك سيعترف مصدر كبير في المخابرات الفرنسية للصحفيين الفرنسيين **جورج مالبرونو** و **كريستيان شينو** بصحة ما نشرته أنا في العام 2005 (راجع للصحفيين المذكورين كتابهما المشترك بالفرنسية«الطريق إلى دمشق، الجانب المظلم من العلاقات السورية الفرنسية، منشورات Robert Laffont ، باريس ، 9أكتوبر 2014).

(3) ـ باتريك سيل و مورين مكونفيل : فيلبي، الطريق الطويل إلى موسكو:

- Patrick Seal and Maureen McConville: Philby, The Long Road to Moscow (Hamish Hamilton Ltd, London 1973).

(4) ـ بعد انقلاب **الأسد** في العام 1970 وتعيينه وزيراً للخارجية، عمد **خدام** إلى تصغير سنه ثلاثة أعوام وإزالة كل ما يتعلق بفترة عمله في شركة نفط العراق البريطانية من سجله الوظيفي، وإتلاف جميع الوثائق المتعلقة بذلك بمساعدة رئيس شعبة المخابرات **حكمت الشهابي** و وزير الداخلية **علي ظاظا**. ولولا أن رئيس مكتب الأمن القومي، **عبد الكريم الجندي**، عمد قبل انتحاره في مارس 1969 إلى تسليم ملفات العملاء والجواسيس منذ بداية عهد الاستقلال 1946، إلى أصدقائه في المخابرات الخارجية في ألمانيا الديمقراطية، حين كانوا يشرفون على تنظيم وهيكلة «مكتب الأمن القومي»،لكان من شبه المستحيل أن نعرف هذه المعلومات اليوم.(«فيكتور إسرائيليان،داخل الكريملن خلال حرب أكتوبر وما بعدها، وثائق ومحاضر سوفييتية وألمانية شرقية تنشر للمرة الأولى»، تحرير وترجمة وتقديم نزار نيوف، الجزء الأول، نشر في لندن 2021، والجزء الثاني لم ينشر بعد).

(5) ـ علمتُ للمرة الأولى بقصة **أسماء الأخرس** مع المخابرات البريطانية ودور هذه الأخيرة في ترتيب زواجها من **بشار الأسد**، ولكن دون تفاصيل،من **بيتر لون** في العام 2004(ظروف مقابلتي معه مذكورة في الهامش الأول). وبعد ذلك جاءت تقارير **علي دوبا** إلى **حافظ الأسد**، التي حصلت عليها لاحقاً بفضل العميد **عمر شرق** لتؤكد ذلك مع الكثير من التفاصيل.وهذا ما جعل **حافظ الأسد** يرفض زواج ابنه منها رفضاً قاطعاً طوال السنوات العشر التي بقي فيها على قيد الحياة بعد تعرف ابنه عليها(راجع «ملحق الوثائق»).

(6) ـ طبقاً لمعرفتي وأبحاثي الخاصة في تاريخ المتهودين في «خزاريا» لاسيما خلال القرن التاسع الميلادي وما بعد، وحتى تفكك هذه المملكة في القرن العاشر وهروب يهودها إلى باقي الدول الأوربية، فإن عائلة «شابيرو» تنحدر من بولندا وباقي أوربا الشرقية، لكن وبشكل خاص من مدينة «شباير Speyer» في منطقة حوض الراين الألمانية التي استقبلت أكبر نسبة من القبائل التركية المتهودة (يهود الخزر) بعد تدمير مملكتهم.ومن هذه المدينة أخذت العائلة تسميتها بألفاظها المختلفة من مكان إلى آخر وبين لهجة وأخرى(شابيرو، شابيرا ..إلخ) بعد أن هاجرت مرة أخرى وفي مراحل مختلفة منذ أواسط القرن الثامن عشر إلى مدينة «نيوكاسل» على ساحل «بحر الشمال» البريطاني، لاسيما «سوندرلاندSunderland »، قبل أن يهاجر بعضُ أفرادها مرة أخرى إلى فلسطين المحتلة في فترات لاحقة. أما والدتها، **دايان شابيرو** Deanne Shapero، فتمتُّ بصلة قرابة مباشرة لحاخام إسرائيل الأشكنازي الأكبر حالياً، **ياكوف شابيرا** יעקב שפירא.

بعد 25 عاماً من الزواج، أقدم **محمود حجاج** على طلاق زوجته **دايان** «حين اكتشف علاقتها بجهات أمنية إسرائيلية. كما أنه قطَع صلته حتى بابنته **كلير** منذ العام 2010 لسبب مشابه. فقد استغلت وظيفتها وعملها في المخيمات الفلسطينية وأماكن انتشار اللاجئين، داخل فلسطين وخارجها، من أجل جمع معلومات لصالح جهات أمنية إسرائيلية». هذا ما أبلغتني به مهندسة كيميائية تعمل مع «منظمة الأمم المتحدة لحظر الأسلحة الكيميائية OPCW»، وتعرف **كلير** عن قرب منذ أن كانتا زميلتين في جامعة أكسفورد مطلع التسعينيات الماضية.

(7) ـ أنشأ **روري ستيوارت** «مؤسسة جبل الفيروز» في العام 2005، بتمويل سعودي واقتراح من ولي العهد البريطاني(الملك الحالي)**تشارلز الثالث** وتعاوُن العميل الأميركي الشهير **حامد كرزاي**، حاكم أفغانستان في ذلك الحين،كواجهة مدنية مهمتها الفعلية جمْعُ البيانات الاجتماعية والديموغرافية لصالح الجهات الأمنية والسياسية البريطانية تحت ستار تنفيذ مشاريع ثقافية وتنموية،من قبيل جر مياه الشرب إلى الأرياف وحماية وترميم الآثار وتعليم الفتيات.وقد توسع نشاط هذه المؤسسة لاحقاً ليشمل الأردن والجولان السوري

المحتل،فضلاً عن منطقة «الجليل الأعلى» في فلسطين المحتلة، تحت سِتار ترميم الآثار الرومانية والبيزنطية في هذه المناطق والكشف عمّا اندثر منها!

(8) ـ كان النظام أنشأ، منذ عهد **الأسد الأب**،«خطاً ساخناً» للتعاون والتنسيق الأمني لـ«مكافحة الإرهاب» مع «وكالة المخابرات المركزية» و «مكتب التحقيق الفيدرالي» . وقد تولى اللواء **مصطفى التاجر** إدارة هذا «الخط» من الجانب السوري. وفي إطار هذا التعاون جرى نقل حوالي 26 إسلامياً من «سجن غوانتانامو» إلى «فرع فلسطين / 235»،عبر القواعد الأميركية في إسبانيا، لتعذيبهم وانتزاع اعترافات منهم. وقد اعترف **بشار الأسد** بهذا التعاون و بمساهمة أجهزته الأمنية في الحفاظ على أرواح جنود أميركيين في الشرق الأوسط، في المقابلة التي أجراها معه **سيمور هيرش** لصالح مجلة«ذي نيويوركر» الأميركية التي نشرتها بتاريخ 21 يوليو 2003 تحت عنوان «The Syrian Bet ».

(9) ـ **رودريك (روري) ستيوارت** :

- The Prince of the Marshes: And Other Occupational Hazards of a Year in Iraq, Harcourt, 2006.
- The Places in Between, Picador, 2004.
- The Legacy of Lawrence of Arabia (BBC Two, 2010).

(10) ـ كان **جيمس لوميسيرييه** أحد ضباط المخابرات البريطانيين الذين كلفوا بحراسة **أحمد سعدات** في جناح خاص معزول في «سجن أريحا» الفلسطيني، قبل أن يتواطأ مع الاستخبارات الإسرائيلية على اختطافه من السجن ونقله إلى السجون الإسرائيلية أواسط مارس 2006.

(11) ـ حديث أدلى به السفير **سايمون كوليس** صيف العام 2011 إلى المحامي **حسن عبد العظيم** ، المنسق العام لـ«هيئة التنسيق الوطني» صيف العام 2011 (المصدر: رسالة خاصة من الدكتور المغيَّب **عبد العزيز الخير**).

(12) ـ حول افتضاح عملية «عملية خشب الجميز» وإيقافها، راجع :

- Mark Mazzetti (and others) : Behind the Sudden Death of a $1 Billion Secret C.I.A. War in Syria (New York Times, 2 August 2017).

(13) ـ كان **رياض الترك** دشّن علاقة خاصة مع «وكالة المخابرات المركزية» منذ العام 1978 من خلال قناة خاصة تولاها رفيقُه **جورج صبرا** عند إيفاد هذا الأخير في العام المذكور في بعثة تدريب تعليمية حكومية إلى الولايات المتحدة،استناداً إلى«اتفاقية التبادل الثقافي والتعليمي»الموقعة صيف العام 1974 من قبل وزيري خارجية الدولتين،**عبد الحليم خدام** و **هنري كيسنجر**. أما ممثل «الوكالة» فلم يكن سوى السياسي اليهودي-الصهيوني الشهير **كارل غيرشمان** Carl Gershman،الذي كان مكلفاً يومها من قبل «الوكالة» و«الموساد» الإسرائيلي،وقبل أن يصبح مستشاراً للرئيس **رونالد ريغان**،باختراق الأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط والعالم العربي،كما أكد تقرير لمحطة استخبارات ألمانيا الشرقية في أميركا الشمالية يعود إلى مطلع العام 1979(منشور في ملحق وثائق هذا الكتاب).وهذا ما أكده لي **غيرشمان** بنفسه بعد سنوات طويلة على ذلك(في العام 2004)،وإن بطريقة مواربة،من خلال رسالة إلكترونية منشورة أيضاً في الملحق نفسه! وغني عن البيان أن **الترك** وحزبه،وكما اعترفت جريدة الحزب نفسه،التي تصدر في الخارج(«المسار»،العدد 4، مايو 2004)، كانا يتمولان من أجهزة مخابرات **صدّام حسين** قبل ذلك وقبل أن تبدأ وكالة المخابرات المركزية نفسُها تمويلَه

اعتباراً من العام 2005 أو 2006 بصفته الدينامو المحرك والزعيم الفعلي لما عُرف آنذاك باسْم«إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي»الذي كانت الطبيبة المذكورة تتولى أمانته العامة.وبصفته المشار إليها، تلقى **رياض الترك** وبقية زملائه في«الإعلان»، حوالي 12 مليون دولار من وكالة المخابرات المركزية خلال الفترة 2005-2010، جرى تخصيص نصفها لإنشاء قناة فضائية باسم «بردى» في لندن، يكون المهندس **عبد الحميد الأتاسي**، عضو قيادة حزب **الترك**، ممثلاً لهذا الأخير في مجلس إدارتها. ولم يكن هذا الأمر ليُفتَضح لولا مئات الآلاف من برقيات وزارة الخارجية الأميركية التي حصلها عليها ونشرها الصحفي الشجاع **جوليان أسانج** في «ويكيليكس» اعتباراً من العام 2010، ولولا تقرير لصحيفة «واشنطن بوست» بتاريخ 17 أبريل من العام التالي عن القضية نفسها. لكن ما لم تنشره «ويكيليكس» أو «واشنطن بوست» هو أن تحويل أموال «الوكالة» إلى **الترك** ورفاقه وزملائه داخل سوريا، لاسيما الشيخ العشائري **نواف البشير**،إنما كان يجري عن طريق **قيادة منظمة «إعلان دمشق» في الخارج، التي كان يمثلها آنذاك كل من الدكتور عبد الرزاق عيد** وزميله **أنس العبدة**. وهذا الأخير أصبح قناة التواصل الرسمية بين «إعلان دمشق» والحكومة الإسرائيلية،على الأقل منذ نوفمبر 2010،حين تولت رئيسة لجنة العلاقات الأوربية -الإسرائيلية في«البرلمان الأوربي»،النائب التشيكية اليهودية-الصهيونية المستعربة **يانا هيباتشكوفا** Jana Hybášková،ربْطَه مع وزارة الخارجية الإسرائيلية، فضلاً عن رعايتها لـ«المؤتمر الأول لإعلان دمشق في المهجر»، الذي عقد في بروكسل أوائل نوفمبر 2010! ولاحقاً ستدعي «إدارة المخابرات الجوية» أنها «عثرت في منزل **فائق المير أسعد**[العضو القيادي في حزب **رياض الترك**، والمختفي منذ اعتقاله في أكتوبر 2013] على ما يقارب 25 مليون ليرة سورية (حوالي 160 ألف دولار) حين اعتقلته من منزله في 9 أكتوبر 2013». ونقلت عنه «اعترافه» بأن المبلغ «هو ما تبقى لديه من الأموال التي وضعها لديه **رياض الترك** برسم الأمانة للإنفاق على أنشطة /إعلان دمشق/،والتي كانت حولتها له الحكومة الأميركية في إطار برنامج دعم الديمقراطية في سوريا »(ملحق الوثائق).